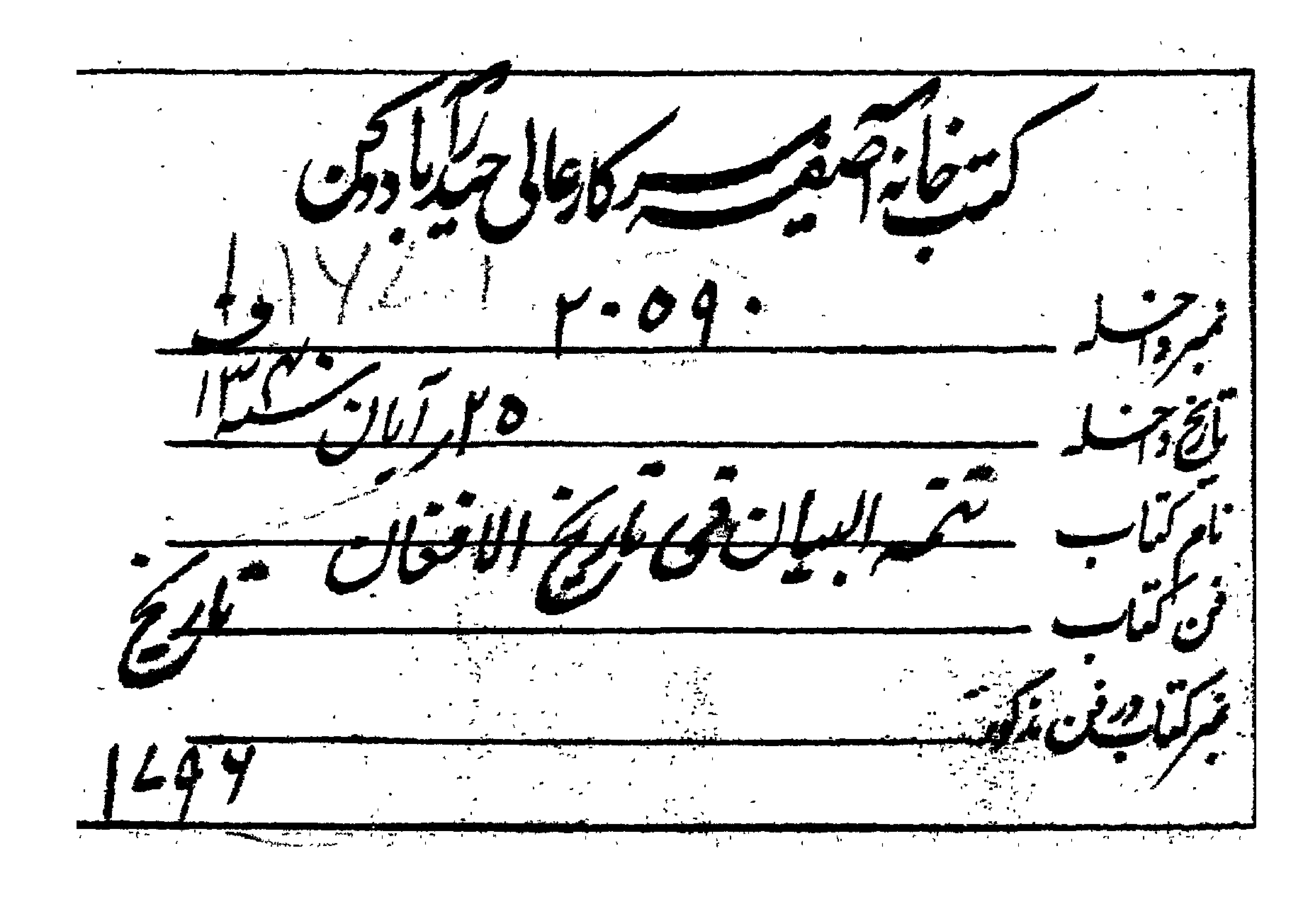
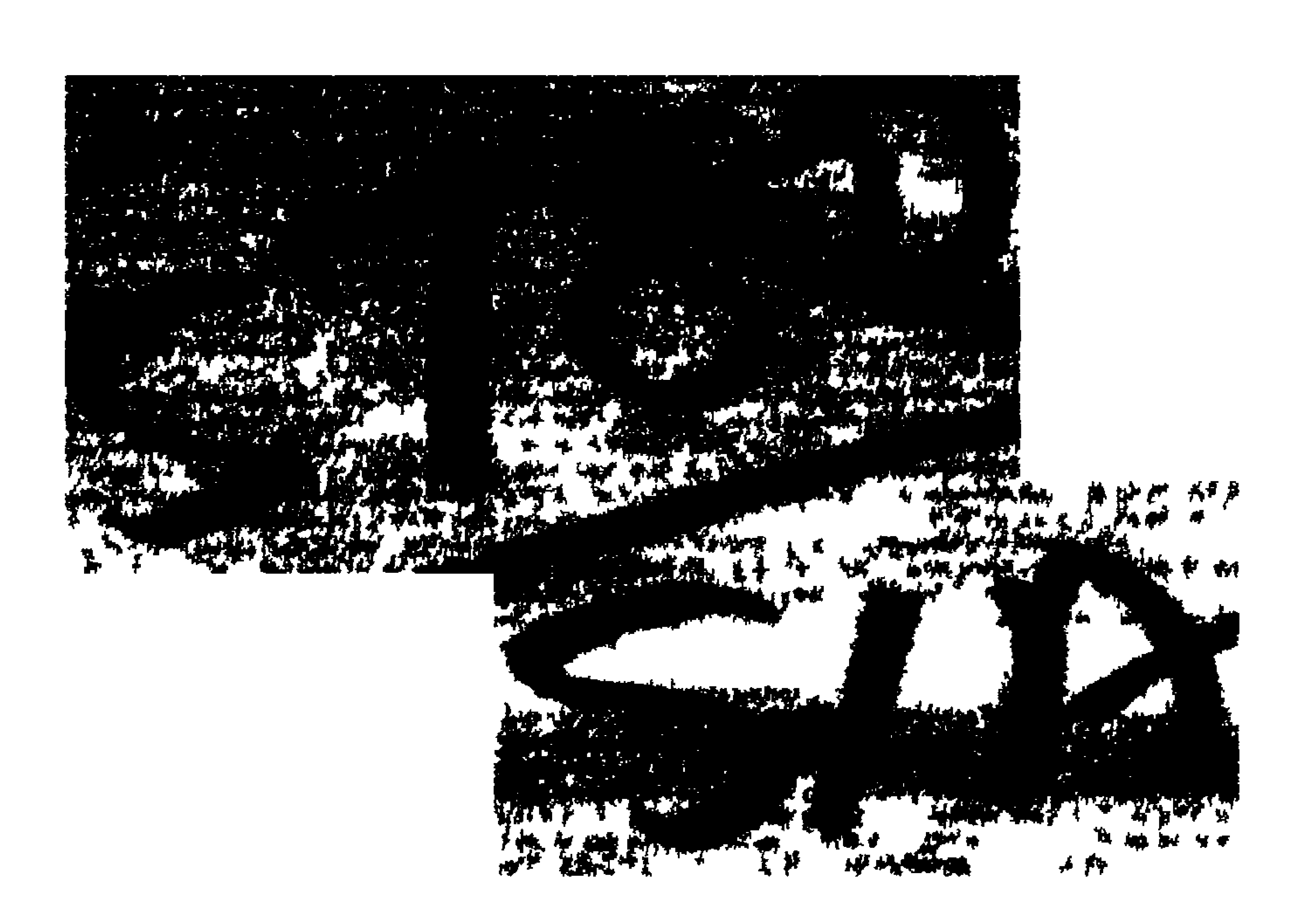




تتمة البيان

في

تاريخ الافغان

شحت الجرائد ... الايام بذكر احوال الامة الافغانية المعروفة ... وشدة البأس وعلو الهمة التي لم تسمح سوسها ... بطل المحرظل المكر والحيل والخداع القاصي ... به بالذل والهوان ولم ترض الدخول تحت ... المتلى بجوع الشر والاستسناء الذى لم يسـ ... سائتى مليون من الناس ولم تروه مياه التمس ... اه ليبتلع بقية العالم ويجرع مياه النيل و ... وقادها شرف النفس لاختيار الموت ... الدنية تحت سطوة احد ... عيش وطيب المطعم وا ... ستيراً وورراءه الدين هم على ... رون صفاته في رد سارة حكومة الانكليز ... ت اراوئهم على ارغامها برد سارتها ما عهد فيها من نقص العهود والمواثيق والتهاون بردائة الدم كما زعمها ... في الازمان الحالية حيث فكوا بردها وصرعوه بحد سيوفهم وها هي مصارعهم تشهد بذلك الى الان بحد ما دلت الى ذكر محمل احوالنا السابقة واللاحقة وعاداتها واخلاقها وبعض حكومتها وطرز بلادها ... في فصول

الفصل الاول

في اسم هذه الامة

١ ان الفارسيين يسمونهم بافغان ويعللون ذلك بانهم حينما اسرهم (بخت نصر) كانوا لم يأمنوا وحيث والاسم يسمى بالفارسية (افغان) فاطلق عليهم هذا الاسم من ذلك الوقت وقيل ان افغان اسم لحفيد (شاؤول) وهو جد الافغانيين فسموا باسم جدهم .. وعوام الفرس يطلقون عليهم اسم (اوغان) وهو قريب من الاول .. والهنود يسمونهم (بتان) .. وبعض قبائل الافغانيين كالمقيمين (بقندهار) و (قرن) يسمون انسهم (بشتو) و (بشتان) بالباء الفارسية فيهما .. وبعضهم كساكني (حوست) و (كورم) و (باجاور) يسمون انفسهم (بختو) و (بختان) بالباء الفارسية فيهما ومن دقق النظر في تقارب هذه الالفاظ يعلم انها من اصل واحد وان لفظ افغان و (اوغان) و (بتان) محرف عن (بختان) .. و (بختان) و (بشتان) يصح ان يكونا مأخوذين من (اشتان) وهي قرية من قرى (نيسابور) او يكونا مأخوذين من (بشت) اسم مدينة من مدن خراسان ثم ركب مع الالف والنون الدالتين على الجمع في لغة فارس على احتمال ان كان لهم بها اقامة ثم استمر الاطلاق بعد مفارقتها والواو في (بشتو) و (بختو) المحرف عنه للدلالة على النسبة كالياء في لغة العرب وحذفت مع الجمع تخفيفاً ويحتمل ان يكونا مأخوذين من (شيت) اسم قرية من قرى فلسطين على احتمال كونهم من بني اسرائيل كما سنشير اليه

الفصل الثاني

في نسب هذه الامة

يتألف هذه الامة من قبائل متعددة كالغلزائي والعبدالي

و(كاكر) و(دزري) و(يوسف زائي) و (مهمند) و(افريدي) و(سكتي) وغيرها من القبائل التي تسمت باسماء اماكنها (كخوستي) و(كرمي) و(باجاوري) وكل قبيلة تحتوي على عمائر مختلفة مثلاً (الغلجائي) تشتمل على (هتك) و(توخي) و(سليمان خيل) و(اورباخيل) وغيرها .. و(عدلي) تتركب من (باركزائي) و(علي كوزائي) و(عي زئي) و(باميزائي) .. وكل عمارة من هذه العمائر تتضمن بطوناً وبطونها تتضمن افخاذاً ولسنا الان بصدد بيان اسماء البطون والافخاذ وما يختص بكل منها لضيق المقام ونجمع هذه الفروع في اصل واحد يسمى (پشتو) او (پشتان) .. وقد اختلف ارباب التواريخ في منبت هذا الاصل .. فقال بعضهم انهم من طائفة الخزر كانوا يسكنون بسواحل بحر (كاسبتان) وفي (باب الابواب) (والشروانات) وكانوا يغيرون على بلاد ايران وينهبون ممالكهم ثم نقلهم بعض الملوك الى شرقي بلاد خراسان في زمن غير معلوم ونسبه بعض من لا خبرة له بالتواريخ الى الامير (تيمور الكوركان) وضعفه ظاهر اذ الافغانيون في اماكنهم هذه قبل زمان تيمور بقرون .. وقال بعضهم انهم من اولاد الضحاك الذي اشتهر عنه في (ميتولوجيا) فارس انه كان له سلطنتان بكتفيه يوم تمنيا تعبدان .. وقال بعضهم انهم من (الاشوريين الكلدانيين) حتى ان بعض سياح الافرنج ادعى انه يوجد في اللغة الافغانية بعض من الالفاظ الكلدانية .. وقال بعض ان هذه الطائفة التي ملأت الجبال الواقعة بين نهر (اتك) و (خراسان) اعني طائفة الافغان من نسل الاقباط المصريين الذين كانوا مع سوستريس حين افتتاحه بلاد الهند .. وقال بعض انهم من اسباط بني اسرائيل وان (بخت نصر) اسكنهم بعد قتل كثير منهم في الجبال المسماة (قوهستان غور) او (غور) فقط وقال انهم سموا مسكنهم الجديد بهذا الاسم تذكراً للوادي الكائن بارض الشام المسمى

بغور وسموا بـ (بغتو) الذي هو محرف عن (بختو) نسبةً الى (بخت نصر) فان الواو في الفارسية ... النسبة في العربية كما اشرنا اليه سالفاً ثم تكاثر ... فتسلطوا على تلك الجهات وكان بينهم وبين يهود ... العربية مراسلات ولما دخلت يهود العرب في دين الاسلام بعثوا برجل منهم يسمى خالد الى بلاد الافغان يدعوهم الى الدخول في دين الاسلام فارسل الافغانيون جماعة من امرائهم وكان فيما بينهم رجل يسمى قيساً يتصل نسبه الى اسباط اسرائيل بسبع واربعين واسطة والى ابرهيم بخمس وخمسين واسطة فقدمهم خالد الى الرسول (صلعم) وصاروا مشمولين ... خص قيساً بعواطفه الخاصة وسماه عبد الرشيد ... الامير وقال (صلعم) انه حقيق بهذا اللقب ... ل سلاطين بني اسرائيل وهؤلاء المرسلون قد ... بي (صلعم) في فتح مكة وظهرت عليهم آثار ... في تلك الواقعة ثم رجع قيس الى بلاده مصحوباً ... بعد ان دعا النبي (صلعم) له بالخير والبركة ... ايضاً بجماعة من اهل المدينة لتأييده في ترويج الاسلام واقامة مراسم الدين الحقيقي في جبال (غور) الواقعة في خرسان وبعد وصول قيس الى تلك الجهات افرغ جهده في جلب قلوب اتباعه الى دين الاسلام وقد نال مقصده بدخولهم جميعاً ... هذا الدين وتوفي قيس في سنة ٤٠ من الهجرة عن سبع وثمانين سنة وخلف ثلاثة اولاد ذكور وذهب بعضهم الى ان نسبه يتصل الى (شاؤول) وله جميل ذكر الى هذا الوقت في بلاد الافغان حتى ان امراءهم يجهدون في ايصال نسبهم اليه وللافغانيين شجرة انساب يعتقدونها في هذا العهد تؤيد هذا الاصل اعني انهم من نسل اسباط بني اسرائيل الا انه لا يوجد ادنى مشابهة بين لسان (پشتو) وهو لسان الافغانيين وبين اللسان العبري اصلاً نعم ان اعتقادهم بكونهم من هذا الاصل مع بعد المسافة بين اراضيهم ومقر الاسرائيليين ووجود محل

يسمى بتغيير في بلادهم ربما يوجب ظن بعض بصحة هذه الرواية .. وقال بعضهم انهم من طائفة الارامنة كانوا ساكنين في (شروان) التي كانت تسمى سابقًا (البان) بالباء الفارسية ويؤيد ذلك ان الكنائس الواقعة في (قراباغ) المتاخمة (لشيروان) تسمى الى هذا العهد بـ (قندسار) ويقال لكبير تلك الجهات (اغوانخ) ومعنى (اغوانخ) في لغتهم كبير الاغوان وان الارامنة الساكنين في (كنجه) و (روان) و (نخجوان) و (كيلان) يفتخرون بهذا الاسم اعني (اغوان) ويدعون الاغوانية فيحتمل ان يكون لفظ افغان محرفًا عن : اغوان : او : البان : وان يكون رئيس : القندسار : بعد انتقاله الى مقامهم الآن واقامتهم بخطة قندهار سماها بهذا الاسم اعني : قندسار : ثم حرف الى قندهار ويظهر من اطوارهم انهم حين مهاجرتهم من اوطانهم الاصلية الى مستوطناتهم الحالية كانوا متدينين بالديانة النصرانية ثم اسلموا فيما بعد وقد يوجد فيهم الى الان اثار بعض عادات جدودهم كوضعهم ما يشبه شكل الصليب على اقراص خبزهم — قول هذا البعض وان لم يكن خاليًا عن الصحة بالمرة الا ان تجويزه كون : قندهار : محرفًا عن : قندسار : يدل على قلة بضاعته في فن التاريخ لان : قندهار : من المدن القديمة الشهيرة المذكورة في : مهابران : كتاب : ميتولوجيا : الهنود .. وقال بعضهم ان هذه الطائفة كانت موجودة بتلك الجبال من عهد قديم على امتيازها على غيرها من الطوائف حتى قال انها هي التي حاربت مع اسكندر الرومي بل كانت في زمن : كشتاسب : وكانت تابعة لولاية : سجستان : تحت حكم : رستم : المشهور وكانت تدفع له في كل عام عشرة جلود من جلد البقر باسم الخراج ثم جاهرته بالعصيان وامتنعت عن دفع هذا الخراج الجسيم الى ان استظهر عليها وارجعها الى طاعته .. والمحقق ان هذه الامة من اصل ايراني وان لسانها ماخوذ من لسان : زندوستا : وهو لسان الفارس القديم وله مشابهة تامة بالفارسية المستعملة الان وان متأخري المؤرخين : ككفرنسيس لنورمان : وغيره يؤيدون هذا الرأي

الفصل الثالث

في ابتداء سلطنتهم وقيام زعيم منهم بامر الملك

نشأت هذه الامة على الجلادة والاقدام فكانت امة حربية لا تدين لسلطة الاجنبي عليها حتى انه في زمن محمود الغزنوي وجنكيزخان التتري وتيمور الكوركان الذين تمت لهم السلطة عليها لم تكن تبعيتها لهم خالية من الخطر وكذلك في عهد انقسام ممالكها بين سلاطين الهند وفارس اذ كانت تتربص بملوكها الشر دائمًا وتترقب الفرص لايقاد نار الفتنة وقد تطاولت ايدي طائفة (الغلجائي) على معسكر محمود الغزنوي ونهبوه وقد تسلطوا على مدينة « غزنة » زمنًا ما وشكلت طائفة منهم سلطنة في « دهلي » ايضًا . ولما استولى « شاه عباس الكبير » على بلدة « قندهار » دخلت طائفة « الغلجائي » و « عبدلي » تحت طاعته ثم لما جار عليهم الحاكم المتولي من طرفه وعاملهم بالظلم ارسلوا من طائفة العبدلي رجلاً يسمى « سدو » ليرفع الشكاية من الحاكم لحضرة الشاه فلما وصل وعرض الشكاية عليه تعجب الشاه من فصاحته ولاسترضائه عزل ذلك الحاكم وولاه بدله فاقام في منصبه بالعدالة وحسن السلوك حتى جلب قلوب الافغانيين اليه بحيث رأوا انه من الواجب ان تكون حكومة الافغان دائمًا في ذرية هذا الشخص وبلغ منهم حسن الاعتقاد فيه الى حد انه لو قتل احد من ذريته احدًا منهم لا يقاصصوه ولو قتل احد سيدًا على احد من نسله كان عقابه القتل وقد تكوّن من نسله فصيلة تسمى « سدوزئي » ومنهم احمد شاه على ما سنبيّنه .. وفي زمن شاه سلطان حسين الذي هو آخر سلاطين الصفوية الايرانية وقد جلس على كرسي الملك في سنة ١١٠٦ حصل العصيان من قبيلة « غلجائي »

السلطنة في مدينة قندهار وما يليها وكلما اجتهدت رجال دولة الشاه في قمعهم لم تزدد نيران الفتنة الاّ اشتعالاً فلما اعيتهم الحيل في امر العصاة ارسلوا اليهم « جرجين خان الكرجي » الذي كان حاكمًا من طرف الشاه على كرجستان » وكان قد اظهر العصيان على الشاه الاّ أن دولة الشاه استظهرت عليه وقهرته وبعد وقوعه في قبضتها لم يجد كفارة لذنوبه سوى خلعه للدين المسيحي ودخوله في الدين المحمدي وكان معروفًا بحسن التدبير وقوة الحزم وثبات الجاش وجعلوه حاكمًا على قندهار . ولما ظن الشاه ان لسلاطين الهند التيموريين يدا في ايقاد الفتنه ارسل مع جرجين المذكور نحو عشرين الفا من العساكر الايرانية وجماعة من الابطال وذوي الدراية والدربة من اهالي كرجستان احتياطًا لكف شر المداخلات الخارجية فلما وصل هذا الخان بعساكره الى ضواحي قندهار خرج العصاة واظهروا الطاعة والانقياد الاّ انه رأى من الواجب عليه اظهار القساوة ومعاملتهم بالخشونة ليذلل بذلك نفوسهم فلم يرَ من عزيز الاّ واذله ولا من قوي الاّ واضعفه ولا من امير الاّ واسره حتى ضاقت صدور القوم عن كتم ما اودعها هذا الوالي من الغيظ والغضاضة فبعثوا رسلاً وسفراء الى اصفهان كرسي دولة الشاه ليعرضوا احوال الاهالي على مسامعه وحين وصولهم الى اصفهان بذلوا مجهودهم لنيل ملاقاة الشاه لعرض شكواهم وبعد ان اعيتهم الحيل لكثرة الحجاب والمنع (الذي هو اساس الظلم في البلاد الشرقية حيث يوجب تطاول ايدي الولاة والمأمورين على حقوق الرعايا كما هو مشاهد الآن في جميع اقطار الشرق) حظوا بملاقاته مرة واحدة وعرضوا عليه مظالمهم وكان بمعيته بعض احباء جرجين خان فالقي اليه ان شكوى هؤلاء العصاة شكوى الزور والبهتان يرومون التخلص من واليهم صاحب الضبط والربط ليعودوا الى مثل ما كانوا عليه فلم يسمعوا من السلطان سوى العتاب فرجعوا الى بلادهم مصحوبين بالخيبة وبثوا خبر الواقعة في اقوامهم وكان للوالي اطلاع على هذا الامر بواسطة رقبائه فاضمر السوء واخذ ينتهز الفرص للايقاع بمن كان له مدخلية في هذا التظلم خصوصًا « ميرويس » المشهور بجلالة النسب ومكانة الحسب الذي كان اميرًا لقبيلة كبيرة ومحافظًا على بلدة قندهار ومعروفًا بين الناس بسعة الاخلاق وفصاحة اللسان ولين الجانب وجودة القريحة وكان ذا وقع في النفوس وتمكن في القلوب فمد الوالي عليه يد التعدي بعد زمن وارسله مسلسلاً الى مدينة اصفهان وكتب الى اولياء الدولة ان الراحة والطمانينة لا تستقران في البلاد الاّ بحبس هذا الرجل ومنعه من الرجوع الى قندهار لانه مصدر الفساد ومنشأ الفتن » وقد اخطأ جرجين خان في ارسال مرويس الى اصفهان مع علمه بان الامراء الشرقيين توطنت نفوسهم على الارتشاء وان بلوغ المقاصد ونيل المرام موقوفان على وجود الرشوة وعدمهما على عدمها فانه بارساله هذا قد مكنه من اعطاء الرشوة لاولياء الدولة لينال منهم مرامه » فلم تمض مدة من وصول ميرويس الى اصفهان حتى اطلع على هيئة الحكومة وضعف عقل الشاه ونفاق اركان الدولة واولياء الامور وتودد الى كثير من اعداء جرجين خان واستمال قلوبهم اليه حتى ساعدته الفرصة على مقابلة الشاه فبث اليه تفاصيل ما عنده من المطالب وتمكن بحذقه وعذوبة منطقه من استمالة قلب الشاه اليه وتوسل بالرشوة الى جذب قلوب الامراء والكبرا ولم يلبث ان انتظم في سلك اولياء الامور في دولة الشاه

وكان يمكنه اذ ذاك الرجوع الى قندهار الاّ انه بعد اطلاعه على ضعف دولة ايران واختلال امورها تمكن من نفسه فكر اعلى من هذا وهو انه يمكن ان يخلص بلاد الافغان بتمامها وينفصل حكومتها عن حكومة الشاه وعلم ان مثل هذا الامر العظيم لايصح الاستعجال فيه فطلب من الشاه ان يرخص له في السفر للحج فلما وصل

الى مكة المكرمة رأى من المناسب ان يأخذ بعض الفتاوي من علماء اهل السنة بوجوب محاربة الشيعة ليدعو بذلك قومه الى حرب دولة الشاه التي هي دولة شيعية ويجمع كلمتهم على ذلك فتحصل على بعض فتاوي بذلك وبعد قضاء فريضة الحج رجع الى اصفهان مخفيًا امره مظهرًا للشاه غاية الاخلاص

ومن غرائب الاتفاق ان وقع في ذلك الوقت واقعة كانت من احسن الوسائل لتنفيذ مقاصده وهي ان رجلاً مجهول النسب من الارامنة عالمًا ببعض الالسن الشرقية تقدمت له خدمات للدولة الروسية في الممالك العثمانية فتوسل الى امبراطور الروس (بطرس الاكبر) في ان يجعله سفيرًا لدى الشاه فلحسن خدمته اقترن طلبه بالقبول فبعثه الامبراطور الى ايران سفيرًا وزاد في مكافأته ان اعفى جميع الاموال التجارية المتعلقة بهذا الرجل من رسوم الجمرك فجمع هذا السفير كثيرًا من تجار الارمن وتوجه بهم الى بلاد ايران ولما قرب من حدودها شهر نفسه بانه من اولاد سلاطين الارمن فاتخذ ميرويس دخول هذا السفير بهذه الكيفية احسن وسيلة لنيل مقاصده وذلك انه اخذ يتكلم في المجامع والمحافل سرًّا وعلانيةً بان النصارى يريدون ان ينزعوا (كرجستان) و (ارمنستان) من ايدي دولة الشاه ولا بد ان يكون جرجين خان حاكم قندهار هو الواسطة الفعالة في ذلك . ولقرب عهد جرجين خان بالاسلام اخذ هذا الكلام من النفوس موقعًا وغلب على ظن اولياء الدولة صدقه فراموا قهر جرجين خان الاّ انه لقوة عضده وتمكنه في قندهار تخوفوا من عصيانه عليهم فارجعوا ميرويس الى بلاده حتى اذا تحرك جرجين خان للعصيان قاومه لعداوة السابقة بينهما (انظر الى ضعف الرأي واضطراب فكر الشرقيين الى يومنا هذا) ولما رجع ميرويس الى قندهار اشتد غضب جرجين خان واراد ان يتخذ وسيلة لهلاكه فارسل اليه يتحكم عليه في ان يبعث بابنته الى ابنه واذ رأى ميرويس ان هذا الطلب على وجه قهري وان اذعانه له يحط من قدره جمع الافغانيين وحدثهم القصة فاغتاظوا لذلك وحثوه على المقاومة والمدافعة عن شرفه فامتلأ لذلك سرورًا لكنه امرهم بالصبر والتأني وقال الاولى ان نقتل الاسد في النوم الاّ انه يلزمكم الثبات على ما انتم عليه واعتمدوا عليّ فاني سأنتقم من العدو فاطمأنوا وحلفوا له بالخبز والملح والسيف والقرآن على معاضدته والقيام بطاعته وقالوا ومن رجع عن ذلك فزوجته طالق بالثلاث . وكان من خادمات ميرويس المتربيات في بيته بنت جميلة ارسلها الى جرجين خان ليتزوجها ابنه باسم انها بنته واظهر غاية السرور والبشاشة وانه غير حاقد على جرجين خان فمحا بذلك ما في قلب جرجين وازال احقاده حتى حصل عنده كمال الاعتماد عليه وبعد زمن هيأ ميرويس مأدبة فاخرة بحديقة خارج البلد دعا اليها جرجين خان واتباعه وكان شراب الجميع بتلك المأدبة كأس الموت وساقيه ميرويس (هكذا . . لا يليق بالامراء والسلاطين اذا غدروا بشخص او ظلموه او اضاعوا حقه ان يصافوه ويعتمدوا عليه خصوصًا في مهمات امورهم فان الحقد والعداوة اذا قرعت قلبًا قلّ ما زايلته) ولبس ميرويس لباس جرجين خان وتعممه من الافغان البسة تعمة ودخلوا البلد بعد المغرب وهجموا على مستحفظي القلعة على حين غفلة ولحق بهم جماعة من الافغانيين كان قد اعدهم كمينًا قرب المدينة وانضم اليه ايضًا سائر الافغانيين الساكنين فيها فاستأصلوا جميع المحافظين الا من فر واستولوا على القلعة ونادوا من لم يأوِ جنديّ من جند جرجين فهو في امان . وكان هناك ستة جندي ارسلهم جرجين لتأديب بعض القبائل في بعض نواحي الولاية فقدموا الى قندهار بالغنائم الوافرة بعد تلك الواقعة فقوبلوا بالمدافع والبنادق وشجعان الافغانيين فاضطروا

على حقيقة الامر وقاوموا مهاجميهم فخرج اليهم ميرويس بخمسة الاف وتبثت اقدامهم امام عساكره ثلاثة ايام اظهروا فيها من الجلادة والبسالة ما استوجب الثناء عليهم ثم انهزموا الاّ انهم خلصوا انفسهم ونجوا الى ارض خراسان فاخبروا بالواقعة فازدادت بذلك دهشة الايرانيين من الافغانيين

ولما خلا جوّ قندهار من المعارضين بعث ميرويس الى رؤساء القبائل الافغانية فحضروا ثم قام فيهم خطيباً يبين فضائل الحرّية ومزاياها وشدائد العبودية وبلاياها ثم قال ان وازرتموني واتفقتم معي فسنخلص اعناقنا من غل الذل وننشر اعلام العزّ والحرّية ونتملص من سلطة الايرانيين الشيعيين ثم ابرز ما عنده من الفتاوي الحاكمة بقتال الشيعة التي سبق اخذها من علماء مكة وأذن فيهم قائلاً الا من رغب جانب الايرانيين واختار ان يكون في ربقة عبوديتهم فليقطع الامل من ان يساكنا في ديارنا اذ لا يمكن له معاشرتنا ويستحيل ان ينال مودتنا ومصافاتنا فوافقه جميع الامراء وكدوا الموافقة بالايمان (هكذا هكذا أولو الفضيلة والحزم يفدون بارواحهم ويخاطرون بانفسهم لتحرير امتهم وتخليصها من ربقة الاسر والذل ولا يطلبون لذلك جزاء سوى تخليد الذكر الجميل بخلاف ارباب النفوس الدنيئة والهمم المنحطة المنهمكين في الشهوات فانهم يبيعون امتهم واوطانهم للاجنبي بالبخس الاثمان) ولما بلغ خبر اتفاق الافغانيين كرسي دولة الشاه فعوضاً عن ان يرسل عسكراً جرارا لتأديب العصاة وتفريق شملهم ارسل (محمد جمي خان) لتهديد ميرويس ومن اتفق معه فلما وصل هذا السفير الى قندهار اخذ يبين عظمة دولة ايران وقوتها وقدرتها المقتدرة على تنكيل من ناوأها وينذر ميرويس بسوء عاقبة عمله هذا فاجابه ميرويس قائلاً هل تظن انه لا يوجد الشرف الا في رؤوس المترفين وارباب النعم ولا يوجد في ابناء جبال افغانستان ولو كان في امكان

سلطانك قهري وغلبتي ما كان له من حاجة لارسالك لتتكلم بهذه الكلمات التي لا طائل تحتها ثم امر بحبسه ومع ذلك لم تنتبه دولة الشاه من نوم الغفلة حيث بعثت بسفير اخر يسمى (محمد خان) حاكم هراة بعد ما بلغها حبس السفير الاول وقد كان السفير الثاني من احباء ميرويس ومصاحبيه في سفر الحج ولما وصل الى قندهار قال له ميرويس لولا سابق المحبة والصحبة لعاقبتك عقاب المذنبين ولكن لا بد ان تعلم ان الرجال الافغانيين لا يعودون الى تحمل نير العبودية بعد ما تخلصوا منه وان الاسود التي قطعت السلاسل لا تقيد بها وان السيوف المسلولة لا تغمد وان ملككم سينكب ويغلب ودولتكم ستنهب وتسلب ثم امر بقيده . ولما رأى اولياء الدولة ان لا فائدة في ارسال الرسل ولا مفرّ من المحاربة وجهوا الاوامر لحكام خراسان ان يجيشوا جيوشهم ويهجموا على الافغانيين وبعد انهزامات متتاليه لعساكر الايرانيين تحقق لديهم ان عساكر خراسان وحدها لا تكفي لتتبع الافغانيين فاعدوا جيشاً كبيراً وجعلوا قيادته بيد (خسرو خان) ابن اخ (جرجين خان) الذي لم يكن في الجلادة والرشد اقل من عمه وانما فوضوا قيادته اليه ليكون حب الانتقام لعمه موجباً لزيادة اقدامه وتحمسه (هكذا لا تفيد الحماسة والاقدام سوى الوقوع في الشقاء وعسر التخلص منه كما شاهدناه في هذه الايام الاخيرة من حماقة العثمانيين في شأن هرسك وبوسنه التي جرّت الى خراب البلاد ودمارها) فتقاتل (خسرو خان) مع (ميرويس) واشتعلت نيران الحرب بينهما فانهزم ميرويس وحصر خسرو خان مدينة قندهار فطلب محافظوها الافغانيون من خسرو خان ان يسلموا له المدينة على شرط ان يأمنهم على حياتهم فلم يرضَ بهذا الشرط فلما علموا ان لا مفرّ من الموت اخذوا اهبة الدفاع وكانوا كل يوم يهاجمون محاصريهم وميرويس بعد جمع عساكره المتفرقة شرع في الهجوم عليهم من

الخارج حتى نفدت ذخائر خسرو خان فاضطر لترك المحاصرة والاشتغال بمدافعة ميرويس الى ان قتل ولم ينج من عساكره الايرانية التي كان مقدارها خمسة وعشرين الفاً سوى خمسمائة شخص (تلك عاقبة العجب والغرور)

ثم ارسل الشاه جيشاً اخر يقوده (محمد رستم خان) فانهزم ايضاً وتمت السلطة لميرويس على ولاية قندهار بلا مزاحم ولا مخاصم

ثم توفي ميرويس عن ولدين لا يزيد سن اكبرهما عن ثماني عشرة سنة ولهذا اختار الافغانيون ان يخلفه في الحكومة اخوه (مير عبد الله) وكان لهذا الخليفة ميل للصلح مع سلطنة ايران الّا ان اراء الافغانيين كانت لا تساعده على هذا الميل بل عارضوه وقالوا ان لم تستطع ان تحذو حذو اخيك في المهاجمة فلا اقل من ان تمهل في امر المصالحة ومع ذلك لم يسمع مقالتهم بل تشاور مع بعض اصحابه واستقر الرأي بينهم على ان يرسلوا معتمدين الى دولة الشاه لعقد المصالحة بشروط ثلاثة الاول ان تعفى ولاية قندهار من الخراج السلطاني الثاني ان لا يكون لدولة عسكر في تلك الولاية الثالث ان تكون الامارة وراثة في ذرية مير عبد الله المذكور . فلما اطلع على ذلك الامراء من الافغانيين اشتد غيظهم منه وانحرفت قلوبهم عنه وحقد كبير ولدي ميرويس المسمى بـ (محمود) الذي كان يظهر من ناصيته علائم النجابة والشهامة على عمه حيث تعدّى على حقه فاتفق مع اربعين شخصاً من الافغانيين ودخل بيت عمه على حين غفلة وذبحه وباطلاع الافغانيين على ذلك اقاموه حاكماً على انفسهم ولقبوه بشاه قندهار

وفي تلك الاوقات بعينها قام (ازادخان) العدالي من الافغانيين واستولى على مدينة (هراة) ورفع لواء الاستقلال واتفق مع بعض طوائف الاكراد على نهب بلاد خراسان الداخلة تحت حكومة ايران . فبعثت حكومة الشاه بثلاثين الفاً من العساكر تحت امرة (صفي قلي خان) لتأديب (ازادخان) فاستقبلهم بجيوشه واقتتلوا من اول النهار الى زوال الشمس ولم يتبين الغالب من المغلوب ولهول الواقعة اختلط الامر على طبجية الايرانيين فلم يميزوا بين جيوش الافغان وجيوشهم فاخذوا يطلقون المدافع على عساكرهم الخيانة فظنت جيوش ايران ان هذه خدعة حربية اذ كانوا يعلمون ان الافغانيين لا توجد عندهم المدافع فانفصلت العساكر بعضهم عن بعض فاتخذ الافغانيون ذلك فرصة للهجوم فهجموا وشتتوا شمل العساكر الايرانية وبددوها وقتل (صفي قلي خان) مع ابنه وثمانية الاف من العساكر الايرانية وتركوا جميع الاثاثات والادوات العسكرية وعشرين مدفعاً وتمت بذلك السلطة لازادخان في ولاية هراة واستقرت بها الحكومة البدالية كما استقرت الحكومة الغلجائية في مدينة قندهار

وفي اثناء هذه الفتن هجم الاكراد السنيون للنهب والغارة على بلاد ايران وتوغلوا فيها حتى وصلوا الى جدران اصفهان (كرسي المملكة) . وثارت اعراب مسقط واستولت على جزائر خليج فارس وعلى الفرض الواقعة بساحل ذلك الخليج ... فلما رأى محمود شاه قندهار اختلال احوال السلطنة الايرانية وضعف عقول امرائها وتفرق كلمتهم وتمكن النفاق من قلوبهم (كما هو الواقع الان في امراء الشرق) طمع في سلطنة الشاه وساق عساكره لحربه من طريق (كرمان) مع عدم وجود المياه والكلاء بذلك الطريق فلما وصل الى كرمان ولم يكن اهلها على استعداد حيث هاجمهم على غفلة منهم سلموا له المدينة بدون حرب ولا منازعة وحصل من عساكره ان اطالوا يد الظلم على الاهالي كما هو عادة المتغلبين من الامم الشرقية بل الغربية . ثم صدر الامر من شاه ايران الى (لطف علي خان) الذي كان والياً في (بندر عباس) بمحاربة الافغانيين وطردهم فتوجه اليهم ونازلهم فلم تكن الّا وقعة واحدة طرد فيها الافغانيين

من كرمان بحيث لم يستطيعوا الوقوف في نقطة من النقط حتى رجعوا الى قندهار الا ان اهالي كرمان صاروا كالمستجير من الرمضاء بالنار حيث نالهم من يد عساكر الشاه ما اوقع الاشتباه عندهم هل مصائب تغلب الافغانيين اشد وافظع او مصائب مساعدة دولتهم . ولما علم لطف علي خان ان مير محمود سيعود كرة ثانية شرع في حشد العساكر وجمع الذخائر واخذ أهبة الاحتياط في (شيراز) . ولدواع اقتضاها الحال اما لعدم الانتظام او حكم الزمان قد نشأ عن هذا وقوع الظلم بالرعية اذ كانوا يصادرونهم في اموالهم ويسخرون دوابهم في الاعمال اللازمة وغير ذلك فاتخذ اعداء لطف علي خان هذا الاختلال وسيلة للسعي في عزله فسعوا لدى الشاه فعزله عن رئاسة العساكر فتفرقوا وذهبوا من حيث جاؤا (انظر الى الادنياء الاخساء خائني الوطن والامة كيف انهم لبعض اغراض شخصية وعداوات جزئية وتشفي من شخص واحد قد تسببوا في تفريق العساكر التي كانت وقاية للامة وحفاظا للوطن وترتب على تفريقهم ما ترتب كما سنبينه) . وفي تلك الاوقات قد ظفر العبدلية من الافغانيين على غالب بلاد خراسان حتى كادوا يفتحون مدينة (مشهد) وهي طوس القديمة . وفي اثناء هذه الفتن والقلاقل وقعت زلزلة شديدة في مدينة (تبريز) واصبح ثمانون الفا من الناس تحت التراب وحصل في الجو تكاثف حتى حجب ضياء الشمس فكانت لا ترى الا كقطعة من نحاس احمر فوقع في اوهام العامة ان هذه اثار الغضب الالهي ومقدمات نزول البلاء السماوي واخذوا يحتالون لدفع القضاء بطرد الفاجرات وازالة كثير من المنكرات والمشائخ كانوا يطوفون في الازقة ويدعون الناس للاستغفار والمنجمون قد حكموا حكما بتا ان هذا علامة لخراب اصفهان فوقعت العقول في وحشة والنفوس في حيرة وضعفت القلوب وتمكنت منهم حتى كانت هذه الامة الكبيرة واقفة على قدم الاستعداد للموت وانقطعت امالها من الحياة والنجاة (تفطن وانظر الى مضار الاعتقادات الخرافية وما ينشأ عنها من ضعف النفس وسقوط الهمة وارتباط الايدي عن العمل) وفي سنة ١١٣٥ من الهجرة عاد (مير محمود) كرة ثانية من طريق سجستان الى كرمان مع خمسة وعشرين الفا من عساكر الافغان والبلوج واستولى على كرمان بدون تعب الا القلعة التي هي مقرّ الحكومة فانه لم يتمكن من اخذها وتركها لمحافظيها على ان يأخذ منهم الفين وخمسمائة تومان (كل تومان يساوي نصف جنيه انكليزي) وقد ايقن الاهالي وتجسم في مخيلتهم ان محمودا هذا هو غضب الله النازل على دولة ايران الموجب لخراب اصفهان كما اخبر به العلماء والمنجمون . ثم عطف محمود عنانه الى مدينة (يزد) يريد افتتاحها فلم يقدر فتركها وتوجه على خط مستقيم الى مدينة اصفهان كرسي مملكة الشاه فلما صار على مقربة من اصفهان ارسل اليه الشاه رسولين يرجوانه في كف يد الاغارة والعود الى بلاده في نظير ان يعطيه خمسة عشر الف تومان فكانت هذه الرسالة دليلاً عند محمود على استيلاء الضعف على الايرانيين وتمكن الرعب من قلوبهم فلم يعبأ بهما وذهب الى (كلناباد) قرية على فرسخين من اصفهان وعسكر عندها وحفر حول عساكره خندقًا لعلمه بان ستقع هناك محاربة بينه وبين عساكر الشاه والتحق بعساكر محمود كثير من المجوس الذين على دين (زرتشت) رجاء ان تسلط محمود يكون سببًا لتخليصهم من جور الشيعة . ولتسلط الوهم على الشاه جمع الامراء والوزراء يشاورهم في الامر فقال (محمد قلي خان) الذي كان وزيرًا ان الافغانيين وان كان لهم جلادة وثبات في الميدان الا انه ليس لهم قدرة على فتح القلاع فالرأي ان نجعل عساكرنا في قلاع اصفهان وندافع عنها فاذا عجزوا عن فتحها تركوها ورجعوا الى بلادهم كما فعلوا في كرمان ويزد واستحسن الشاه هذا الرأي فقام والي عربستان

(خان اهواز) وتكلم بالحمية والحماسة قائلاً هذه غاية الجبن والضعف كيف نرضى ان محموداً يحاصر مدينة اصفهان بشرذمة قليلة من الافغانيين وهي كرسي دولة شاه ايران فالراي ان نبرز اليهم ونحاربهم حيث هم معسكرون فتحرك عرق حمية الشاه وبعث بخمسين الفاً مع عشرين مدفعاً لملاقاة محمود . ولما تلاقى الجمعان عند قرية (كناباد) رتب كلٌ ميمنته وميسرته وقلبه وركب محمود على فيل واخذ يدور حول عساكره ويجول فيما بينهم ويذكرهم بالفخر والمجد الذين اكتسبوها في الحروب السابقة ويقول ان غلبتم عدوكم فمدينة اصفهان جزاء اتعابكم وان انهزمتم فلا مفرّ من الموت لبعد الشقة بينكم وبين بلادكم فتتجرعون سمّ الاجل بالذل والفضيحة (وكان بين معسكرهم ومدينة قندهار خمسون مرحلة مع انقطاع المواصلات بينهم وبين هذه المدينة وقتئذٍ) ولم يكن عند الافغانيين مدافع ولكن كان معهم مائة (زنبورك) وهو شيء يشبه المدفع يحمل على الجمل ويطلق وهو فوقه فاناخ الافغانيون جمال الزنبورك وراء معسكرهم ثم ابتداء الايرانيون بالقتال فهجمت ميسرتهم على ميسرة الافغانيين فتقهقر الافغانيون منكسرين فغنمت منهم بعض المغانم ثم هجمت ميمنة الايرانيين على ميمنة الافغانيين فتقهقرت ميمنة الافغانيين خدعةً حربية فاغارت خيالة الايران على عسكرهم فلما دخلت الخيالة في المعسكر انشق عسكر الافغان الى فرقتين واطلق الزنبورك على الخيالة فتساقطوا تساقط ورق الشجر في فصل الخريف وهجم وقتئذٍ (امان الله خان) الافغاني على مؤخرة العساكر الايرانيين فقتل الطبجية واخذ المدافع وأمر باطلاقها على عساكر الشاه فلم يمضِ الاّ قليل زمن حتى انهزموا وتفرقوا وتركوا جميع لوازمهم غنيمة للافغانيين .

فلما وصل خبر الهزيمة الى اصفهان اهتزت له القلوب واضطرب الشاه وجمع وزراءهُ للاستشارة وقال ان من الرأي ان نترك اصفهان ونأخذ الخزينة معنا ونشتغل بجمع العساكر الشاهانية ثم نهاجم الافغانيين من خلفهم ونستأصلهم فقبل هذا الرأي عند محمد قلي خان الوزير ولم يقبله والي عربستان المذكور لامر سنشير اليه وقال لا يليق بالسلطان ان يترك كرسي مملكته لهزيمة واحدة فان هذا آية الضعف وموجب لنفرة قلوب الاهالي منه . فاخذوا في تهيئة لوازم الدفاع والاستعداد للمحاصرة وكان محمود وقتئذٍ متردداً في امره حتى جاءه بواسطة جواسيسه (اتباع والي عربستان) خبر استيلاء الرعب على قلوب الايرانيين فاطمأن وساق عسكره الى (فرح اباد) واستولى عليها بلا محاربة لعدم وجود العسكر فيها وبعد استيلائه عليها توجه للهجوم على محلة (جلفا) مسكن الارامنة في اصفهان فاستولى عليها ايضًا ونشأ عن استيلائه خسارة جسيمه لساكنيها

ثم هجم على برج من ابراج مدينة أصفهان فدفع عنه بقوة البنادق والمدافع فتقهقر ووقع في نفسه ان هذا التقهقر ربما يوجب زوال الرعب من قلوب اهالي المدينة فيصعب الامر فى فتحها فهجم في اليوم الثاني مع الابطال الافغانيين على بعض الاستحكامات واظهروا جلادة وشدة حتى كادت المدينة تفتح لولا مقاومة (احمد اغا) احد اغاوات الحريم فانه قاوم ببسالة وجبر الافغانيين على التقهقر فوقع الرعب في قلب محمود وارسل يطلب المصالحة على شرط ان تكون حكومة قندهار وكرمان وخراسان وراثة في ذريته وان يزوجه السلطان بابنته ويعطيه خمسين الف تومان ولكن لم تقبل هذه المطالب عند الشاه ولما سمع والي عربستان بذلك ارسل سرًا الى محمود رسولاً يلومه على طلب المصالحة ويوصيه بالثبات ويعده بالظفر وقال في رسالته اني منكم مذهبًا فاثبتوا ولا تخافوا . ولما احاط محمود علمًا بمحوى الرسالة انتعش مرة ثانية ودبر تدبيرًا آخر وهو ان يخرب القرى والقصبات التي هي حول اصفهان ويجمع الذخائر منها لعسكره ويحرق ما بقي وقد فعل ذلك

اهالي القرى الى المدينة لعدم وجود الاقوات عندهم وكان الامراء لجهلهم بحقيقة الحال يقبلونهم بكل مسرة لظنهم انهم يزيدون في عدد المدافعين ولم يخافوا من حصول القحط في المدينة لانها لم تكن محصورة الأ من جهة واحدة ثم هجم الافغانيون من الجهة الاخرى واستولوا على احد الاستحكامات فيها وكان محافظو هذا الاستحكام من الكرج المنهمكين في شرب الخمر ثم تجاوز الافغانيون من قنطرة كانت هناك واستولوا على بعض نواحي المدينة .

وفي ذلك الوقت سمع الافغانيون بقدوم قوم ايرانيين ببعض ذخائر الى المدينة فعارضوهم وانهبوها منهم وقبل ان يصلوا الى معسكرهم خرج اليهم قوم من قرية صغيرة يقال لها (اصفهانك) واسترجعوها منهم واسروا عم محمود واخاه وابن عمه وقتلوهم وكان الشاه امر بعدم قتلهم لطلب محمود ذلك منه الّا ان امره لم يصل الّا بعد القتل فقتل محمود جميع من عنده من الاسراء الايرانيين عند ما سمع بذلك واخذ يتشبث باتمام لوازم الحصار وقطع طرق المواصلات . وفي تلك الحالة الحّ بعض اولياء الدولة على الشاه ان يسلم اليه قيادة المدافعين وتكفل بدفع الافغانيين وطردهم من ضواحي اصفهان الّا ان والي عربستان (خان اهواز) منع الشاه من هذه التمويهات والتدليسات ناظرا اليه

وبما طالت مدة المحاصرة اخذت الاسعار ترتفع شيئاً فشيئاً وظهرت علائم القحط في المدينة ولم يجد الشاه وسيلة سوى ان ارسل ولده (الشاه طهماسب) ولي العهد سراً الى سائر البلاد الايرانية يدعو الناس الى حرب الافغانيين ويجمع عسكراً كافياً من بينهم فلم يمكن من جمع كمية كافية من الجند لتخليص ابيه وكان كل يوم يشتد الكرب على اهل المدينة ويدعون الى الشاه ويلحون عليه في ان يخرج معهم للمحاربة كي يخلصوا انفسهم من غائلة الجوع والقحط خصوصاً حين ما سمعوا انه سيرد اليهم ذخيرة فاجتمعوا حول السراي السلطاني ونادوا على الشاه بالخروج الى الحرب خوفاً من ان تقع هذه الذخيرة في ايدي الافغانيين ويموت اهل البلد جوعاً فارسل اليهم الشاه يعدهم بالجواب في غد فلم ينصرفوا وادمنوا على الطلب حتى اطلق عليهم بعض مستخدمي الحرم البنادق ليرهبهم فانزجرت نفوس الاهالي من هذا العمل وتكدرت خواطرهم وكادوا ان يهجموا على السراي لولا خروج احمد اغا السابق الذكر اليهم وارضائه لهم وبعد انصرافهم جمع جماعة من ابطال العساكر وهجم بهم على الافغانيين واشتدت حملته عليهم حتى استخلص بعض الاستحكامات من ايديهم الّا ان عساكر العرب الذين كانوا تحت امرة والي عربستان (خان اهواز) تقهقروا تعمداً فغضب احمد اغا لذلك وامر باطلاق البنادق على الفرقة العربية من عساكره فلما وقع النزاع بين العساكر واشتغل بعضهم ببعض هجم الافغانيون وهزموهم فذهب احمد اغا الى الشاه وقال له ان (خان اهواز) هو الذي اوجب انهزامنا في جميع المواقع لاتحاده مع محمود في المذهب ولولا وجوده في معسكرنا لدفعنا الافغانيين وهزمناهم من اول وقعة ولكن خان اهواز القى الى الشاه ما زين له عزل احمد اغا عن رئاسة المحافظين للقلعة فعزله فتناول السم ومات وبموت احمد اغا فرح الافغانيون جداً ووقع الاضطراب والوجل في اهالي اصفهان فاضطر الشاه لان يرسل رسولاً الى محمود يطلب منه المصالحة على الشروط السابقة فاجاب محمود بان الشاه لا يملك الان شيئاً حتى يعطيني اياه بل جميع ما في قبضته قد اصبح تحت يدي .... وفي اثناء هذه الموقعة تحركت عساكر محمود حاكم سجستان بعشرة الاف جندي لتخليص اصفهان ولما بلغ هذا الخبر اهالي اصفهان قويت قلوبهم وتعلقوا بحبل الرجاء وعند شعور مير محمود الافغاني بذلك ارسل اليه ان ارجع عن عزيمتك هذه وبلاد خراسان وسجستان تحكمها انت وذريتك على سبيل الاستقلال فصارت هذه الرشوة عمى في بصر

مروءته فعاد للاستيلاء على الممالك التي وعد بها محمود وانقطع الرجاء بعد ذلك من مدينة اصفهان وسدت طرق النجاة على اهلها وازداد الغلاء شيئاً فشيئاً حتى وقع القحط واخذ الناس في اكل الحيوانات غير ماكولة اللحم كالبغال والحمير ثم القطط والكلاب ثم الموتى من الآدميين ثم كان الناس يموتون في الطرق والازقة من الجوع وامتلأ نهر (زاينده رود) من جثث الموتى حتى تغيرت مياهه ولم يكن يستطيع احد ان يشرب منه . . فلما بلغ الحال الى هذا الحد وذلك في حادي وعشرين اكتوبر سنة ١٧٢٢ عيسوية المقارنة لسنة ١١٣٥ الف ومائة وخمس وثلاثين هجرية خرج شاه سلطان حسين من الحرم لابساً لباس الحداد مع جميع امرائه واخذ يدور في ازقة اصفهان وهو يبكي من المصائب التي نزلت في ايام دولته على العباد والبلاد ويقول ان كل ذلك من خيانة الناصحين وعدم ديانة المشيرين ويبين للناس انه يريد ان يتنازل عن الملك والتاج للافغانيين ولما شاهد الناس منه ذلك نسوا مصائبهم ومعائبه واجروا سيل الدموع من اعينهم (هذا جزاء الغفلة وعدم التيقظ والانهماك في الشهوات واستخدام الخائنين في الجنس والمقاصد في المصالح المهمة خصوصاً في زمن الحرب) وفي اليوم الثاني رقموا قرار التسليم وختم عليه جميع الامراء والكبراء وفي الثالث والعشرين من الشهر المذكور خرج شاه سلطان حسين مع جميع العظماء وثلاثمائة من خيالة ايران وذهبوا الى محمود في (فرح اباد) فلما دخلوا عليه في قصرها لم يتحرك من مجلسه الى ان وصلوا وسط الديوان ثم ان الشاه خلع ريشة الملك عن رأسه وقال لمحمود يا ابني ان الله تعالى لم يرد ان اكون على كرسي ايران ازيد مما كنته وانت الان احق به فاجابه محمود ان الله يعطي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء فغرز الريشة في عمته ثم تصافيا وزوجه الشاه بنته في ذلك المجلس وفي اليوم الثاني دخل محمود مدينة اصفهان واجرى السلام العام فقابله الشاه وجميع الامراء وسلموا عليه بالسلطنة . ولما استولى محمود على كرسي اصفهان اجتهد في تخليص الناس من جهد البلاء والقحط الذي حاق بهم وفي جبر الخواطر المنكسرة فمال الناس اليه وابقى كل ذي منصب على منصبه الا انه جعل مع كل واحد رجلاً افغانياً ليتمرن الافغانيون على الاعمال الدولية ويحصل له الاطمئنان والثقة بالاعمال وعاقب بالقتل كل من خان الشاه ودلس عليه في الحرب الا والي عربستان (خان اهواز) فانه سلبه جميع امواله وفضحه اشنع فضيحة ولم يقتله كأنه عاهده على ابقاء روحه . . .

ثم ارسل (امان الله خان) بستة الاف جندي لفتح مدينة (قزوين) فسار اليها وفي اثناء الطريق فتح مدينة (قاشان) و (قم) ودخل بعد ذلك مدينة قزوين بلا معارض ولا مانع الا ان اهل قزوين كانوا اولي بأس وقوة ونفوس تأبى الضيم خصوصاً من مخالفهم في المذهب فلما رأوا بعض تعد من الافغانيين تجمعوا وهجموا على الافغانيين من الاطراف وعند وصولهم الى امام القلعة التي بها الحاكم خرج امان الله خان لتسكين الثورة فجرح وانتهى الامر بغلبة الاهالي وطرد الافغانيين بعد قتل الف شخص منهم وذلك في سنة ١١٣٦ وفي اثناء سير الافغانيين المنهزمين انفصل (اشرف) ابن عم محمود عن امان الله خان بثلاث مائة افغاني واخذ طريق قندهار. وبعد وقعة قزوين قام اهالي (خنسار) وسائر البلدان وعملوا بالافغانيين مثل ما عمل اهل قزوين واجتمع جميع الافغانيين في اصفهان ولما رأى مير محمود ذلك غلب عليه الجبن والخوف وتوهم ان اهالي اصفهان ربما يفعلون معه مثل ما فعل غيرهم بقومه فتحيل لقتل جميع المستخدمين في الحكومة من الامراء وبقايا العساكر المحافظين للقلاع والعساكر الذين بمعية شاه سلطان حسين وطرد جميع الرجال من المدينة حتى صارت مدينة اصفهان خراباً يباباً ولما رأى ان سلطنته لا يصح

قصرها على البنيان جلب اليها بعضاً من الاكراد السنيين كانوا مقيمين في (درجزين) . ولما اجتمع الاكراد وجاءهُ امداد من جهة قندهار وجه بعض العساكر لفتح (جلبا يكان) و (خنسار) و (قاشان) ففتحوها . وارسل (نصرالله) المجوسي الذي لحق بهِ في كرمان لفتح مدينة شيراز وسائر المدن الواقعة على سواحل خليج فارس ففتح جميع تلك البلاد الاّ شيراز فانه جرح في محاصرتها ومات بذلك الجرح فاحيلت قيادة العساكر على (زبردست خان) الافغاني وبعد محاصرة مات الناس فيها من الجوع فتح البلد عنوةً ودخلها وامر بقتل جميع من كان محتكر الاقوات في المدينة حتى انه أتى ببعض المحتكرين وعلقهُ في مخزن برهِ الى ان مات جوعاً. ولما فتحت شيراز تجدد لمحمود عزم ونشأت فيه قوة فجمع ثلاثين الفاً وتوجه بها الى جانب (كوه كيلويه) الواقعة على نحو ثلاث درجات في جنوب اصفهان فتعرّض لهُ القبائل الحالّة بطريقه الى تلك البلاد واخذوا ينهبون عساكره ويفتكون واتفق ان وقع الموت في جيوشهِ لاختلاف الهواء ورداءة المناخ فانفعلت لذلك نفسه ورجع الى اصفهان خائباً ودخلها ليلاً وكذلك وقعت لهُ هزيمة عظمى في مدينة (كز) قتل فيها من عساكره جمع كثير فتسبب عن هذه الحوادث نفور قلوب الافغانيين منه فاجبروه على ارجاع (اشرف) من قندهار وجعله ولي العهد . ثم غلب الوسواس على مير محمود فطلب العزلة والاشتغال بالرياضة وتصفية الباطن والاستمداد من عالم الغيب (وهذه عادة الشرقيين عند وقوعهم في الارتباكات لخطيئاتهم يعدلون عن الاسباب الظاهرة التي اعدَّها الله لنيل الغايات الى الاستمداد من الاسرار الباطنية بترك النجوم والانزواء والانعزال وهي عادة هندية وثنية فشت بين المسلمين في القرن الثاني من الهجرة). ولما رجع من عالم الغيب الى العالم الظاهر وخرج من الخلوة الى الجلوة ازداد فيه الوسواس وسوء الظن حتى انه لخبرٍ لا اصل لهُ امر بقتل تسعة وثلاثين من اولاد السلاطين الصفوية وما زال بهِ الوسواس حتى اورثه خبلاً وجنوناً وقال (ملا علي حزين) انه بلغ بهِ الجنون الى درجة ان كان ينهش لحم نفسه باسنانه . وفي اثناء جنونه سمع الافغانيون بحركة (شاه طهماسب) وتهيئه للاغارة فاضطروا ان يجلسوا (اشرف) على كرسي السلطنة في حياة محمود فابى قبول السلطنة ما لم يقتلوا محموداً قصاصاً لانه هو الذي قتل اباه (مير عبدالله) فقطعوا راس محمود في سنة ١١٣٨ من الهجرة وقدموه اليه فقبل السلطنة واخذ بزمامها وكان موت محمود عن سبع وعشرين سنة وكانت مدة سلطنته ثلاث سنين . ثم ان اشرف اخذ يستقبح اعمال محمود التي صدرت منه في اخر عمره ويبث التشنيع عليها في الملاء العام ولتطييب نفوس الاهالي واستمالة قلوبهم اخذ تاج الملك ووضعه على رجل شاه سلطان حسين والح عليه في لبسه فلم يرض الشاه بذلك ورفع التاج بيده ووضعه على رأس اشرف وقال اني اخترت العزلة على العزة وزوجه ببنته الثانية . ثم اراد اشرف ان يخدع شاه طهماسب فكاتبه يدعوه للملاقاة مبيناً لهُ انهُ قد وقع الهرج في بلاد ايران وتطاولت اليها يد الاعداء والاجنبيين فلنجتمع لنصلح ذات بيننا ونتعاضد على دفع العدو من البلاد واذ علم بذلك بعض الامراء الايرانيين الذين كانوا في خدمة اشرف كتبوا الى طهماسب محذرين اياه من الاجتماع والاعتماد على قول اشرف ولما استشعر اشرف بهذا امر بقتل بقية الامراء الايرانيين الذين تخلصوا من سيف مير محمود متعللاً بانهم يراسلون عدوه . وقبل موت مير محمود بقليل كان سلطان العثمانيين قد عقد معاهدة مع امبراطور الروسية (بطرس الاكبر) على تقسيم الممالك الايرانية التي لم تدخل في حوزة الافغانيين وطرد الافغانيين من البلاد التي حازوها وتسليمها ليد (طهماسب) ان وافق على هذه

المعاهدة (كأن الاختلال الذي خامر بلاد العثمانيين في هذه الاوقات وما لحقها من التجزئة وتقاعد المسلمين عن مساعدتهم هو نتيجة تلك المقدمات التي رتبتها عقول كبرائهم في تلك الازمان) ولما اخذ اشرف بزمام السلطنة ارسل سفيراً الى (قسطنطينية) فتفاوض مع علمائها في هذا الشأن وقال لا يليق بالسلطان ان يعاهد ملكا نصرانياً على اقتلاع ملك مسلم سنّي فوافقه العلماء على ذلك الاّ ان الوزراء حاجوا العلماء وحجوهم حيث قالوا ان السلطان العثماني هو امير المومنين وخليفة رسول رب العالمين وظل الله في الارضين ومن لم يكن مطيعاً لامره ولم يخطب باسمه ولم يعطِ الخراج فهو عدو للدين والجهاد فيه افضل من الجهاد في النصارى فسكت العلماء لهذا البرهان الناشئ عن هوى الانفس ورجع السفير خائباً وصدر الامر لاحمد باشا الذي كان متسلطاً على (مراغه) و (قزوين) بسوق العساكر الى اصفهان ولما سمع اشرف بذلك امر بحرق القرى وجمع عساكره واستقبل العساكر العثمانية فتلاقى اولاً مع النين من مقدمة جيوشهم على بعد خمسة عشر فرسخاً من اصفهان فقتلهم عن اخرهم فوقع الرعب في قلوب الاتراك لهذا الخبر وامر احمد باشا بتوقيف العسكر وحفر الخنادق حولهم . اما اشرف فقد بعث باناس سرًّا ليسعوا في جمع قلوب الاكراد على ولائه وليذيعوا في المعسكر العثماني ان هذه الحرب مضادة للدين الحنفي وبعث بآخرين من العلماء جهرا الى احمد باشا ليستميلوا فؤاده الى السلم ويبينوا له ان الصلح خير فلم يسمع مقالتهم بل امر بسوق العساكر وكانت ستين الفًا يصحبها سبعون مدفعًا ولم يكن مع اشرف سوى عشرين الفًا يصحبها اربعون (زنبورك) فلما تلاقى العسكران انهزم العثمانيون شرّ هزيمة بعد ان قتل منهم اثنا عشر الفًا وتركوا جميع اسلحتهم وادواتهم وفرّ احمد باشا الى (كرمان شاهان) وخوفًا من ان يتعقبه اشرف لم يقم فيها بل ذهب الى بغداد

فاتخذ اشرف من ذلك فرصة لاستمالة افئدة العثمانيين فكتب الى احمد باشا انني لا احب التصرف في اموال المسلمين فارسل امينًا من طرفك يستلم جميع ما تركتم سوى الالات الحربية واطلق اسراء العثمانيين فاوجب ذلك اشتهاره عند العثمانيين بحسن السيرة (فلينظر من يعنيه الوقوف على اخلاق الامم وغرائزهم الى ما صدر في تلك الوقائع عن هذا الرجل الافغاني الذي يعد جبليا وما صدر عن العثمانيين الذين يحسبون انفسهم ممن بلغ ذرى الدراية والكياسة واحاط باطراف السياسة) فالتزموا ان يصالحوه على ان يعترفوا له بكونه شاه ايران وان يعترف هو من صميم قلبه بكون السلطان العثماني هو ظل الله في الارضين

واثر ذلك وقعت عدة مشاكل احدها كون اخي محمود نزع الى الاستقلال في قندهار فتسبب عنه الشقاق في طائفة (الغلجاي) وانقطاع المدد عن شاه اشرف وثانيها كون الملك محمود السجستاني سمى نفسه شاهًا وتغلب على غالب ممالك خراسان وثالثها كون (نادر) المعروف بالشجاعة والعزم والشهامة قد انضم الى شاه طهماسب وصار اميرًا على عساكره في مدينة استراباد وفي خلال هذه المشاكل سار شاه اشرف الى مدينة (يزد) فوفق لفتحها وارسل سفيرًا بعد ذلك الى الدولة العثمانية فقابلته رجالها بكل تجبيل وتعظيم فعدّ ذلك شاه اشرف فاتحة الاقبال ولكن لم يطل زمن سروره حيث بلغه ان (نادرا) جيش جيشًا من طرف طهماسب لاستخلاص (مشهد) و (هراة) من ايدي الافغانيين العبدالية فكان من الامر ان تم له ذلك واستخلصهما واستفحل امره في تلك البلاد فاضطرب لذلك شاه اشرف واخذ يحشد العساكر فجمع ثلاثين الفًا وسار بهم الى بلاد خراسان وتلاقى مع عساكر (نادر) بقرب (دامغان) فهاجمها مرات متعددة الاّ ان عساكره لم تقدر على مقاومة عساكر (نادر) فانهزم ورجع الى اصفهان

وامر بجمع الافغانيين وعسكر في شمال المدينة بقرب (مودجه خوار) وحفر خنادق واقام استحكامات فتوجه اليه (نادر) وكان في كل نقطة من سيره يزيد عساكره من الايرانيين الى ان وصل الى معسكر اشرف فوجده في غاية المناعة ومع ذلك امر بالهجوم عليه واظهر الافغانيون غاية الجلادة والثبات لكن لما كانت عساكر العدو اكثر عددًا واوفر عددًا ظفرت بهم وقتل من ابطال الافغان اربعة الاف وتقهقروا الى اصفان وعلموا علم اليقين ان لا مقام لهم بها فباتوا ليلتهم يتأهبون للرحيل وقبل طلوع الشمس خرجوا من المدينة سالكين طريق شيراز . ويقال ان اشرف قبل خروجه من المدينة ارسل شاه سلطان حسين السيئ البخت الى وادي العدم . وبعد اشهر ساق نادر الجيش بامر طهماسب الى شيراز فتلاقى هناك مع الافغانيين المنكسري الخاطر المجتمعين حول (اصطخر) وبعد محاربة هينة تفرقوا وتقهقر اشرف الى مدينة (شيراز) . ولما علم ان لا خلاص له خرج مع مائتي خيال قاصدًا مدينة قندهار وتفرقت جموع الافغانيين مع امرائهم وكان عددهم يبلغ عشرين الفًا وفي مسيرهم الى بلادهم كانوا يكابدون المشاق من قلة الزاد ومعارضة الايرانيين وسائر القبائل لهم بالقتل والنهب حتى تلف غالبهم ولم ينج الى بلادهم الا القليل . واما شاه اشرف فكان يقاتل مع القبائل الى ان وصل الى (بلوجستان) فقابله اهلها بالقتل والسلب حتى لم يبق معه الا شخصان ثم تلاقى معه (ابن عبد الله) خان بلوج وعرفه فقتله وبعث برأسه مع قطعة الماس كانت معه الى شاه طهماسب وكان ذلك في سنة ١١٤٢ . وكان اشرف طيب السريرة حسن السيرة واسع الاخلاق حميد الاوصاف عند الافغانيين وكان الايرانيون ايضًا يفضلونه على محمود . . وقد طالت سلطنة الافغانيين في ايران سبع سنين وقتل فيها من الايرانيين بمحارباتهم مليونان من النفوس وبعد ما نال (نادر) السلطنة الايرانية ونزعها من ايدي الصفوية جهز ثمانين الفًا لفتح قندهار ولما وصل اليها وجدها منيعة لوقوعها اذ ذاك في ابط جبل يقال له (كوه قيطول) وكان محيطا بها على هيئة نصف دائرة وكان في الجهة التي لم يحطها الجبل ابراج منيعة فارتأى (نادر) ان يبني مدينة بجانبها ليتمكن من الحصار وبعد ان حاصرها سنة كاملة ولم يفز بالافتتاح لوفور الذخيرة عند الافغانيين اخذ سبيل المهاجمة واستولى على بعض الابراج بعد كرات عديدة ووضع عليه الاهوان والمدافع وسلطها على المدينة فتطايرت الكلل عليها فلم يجد اهل المدينة سبيلاً للسلامة سوى التسليم ففتحوا الابواب ودخلت عساكر (نادر) في المدينة ولم يحدث من دخولهم ادنى ضرر بالاهالي لان (نادرا) كان قد اعلن العفو عن الافغانيين تقريرًا لما التزمه عند نيل السلطنة من دفع الرفض وتقرير الترضي عن الصحابة . فانه عند ما طلب منه الايرانيون ان يكون هو السلطان والشاه ابى ذلك وقال لا اقبل السلطنة حتى ترفضوا الرفض وتترضوا عن الصحابة فاظهروا له الرضا وواثقوه على ذلك فقبل تاج الملك ثم كاتب الدولة العثمانية بان الايرانيين قد عدلوا عن سب الصحابة واطمأنوا للترضي عنهم ولكن المذهب الجعفري من المذاهب المعتبرة عند اهل السنة فنومل ان تأذن الدولة باقامة امام للجعفريين في مكة المكرمة كما لسائر المذاهب فامتنع شيخ الاسلام عن ذلك واغرى الدولة بعدم القبول (ان جهل امثال هؤلاء الرؤساء وعدم وقوفهم على حقيقة الدين قد اوجب تفرق كلمة المسلمين الذي قد نشاء عنه انحطاطهم ومذلتهم وخراب ديارهم)

وقد بقي الافغانيون تحت سلطة الايرانيين من زمن موت شاه اشرف الى موت نادر شاه ولما مات نادر شاه في سنة ١١٦١ قام (احمد خان العبدالي السدوزاي) الذي كان في معسكر نادر شاه مع جموع من الافغانيين والازبك وهاجم الايرانيين ونازلهم منازلة عنيفة ثم انعطف

بغاية السرعة الى قندهار واستولى عليها ووضع يده على الاموال الخراجية التي كانت تحمل من كابل وبلاد السند الى نادرشاه عند مرورها بقندهار وبذلك قوي اقتداره فادّعى الاستقلال ولقب نفسه شاه افغان وسمى القبيلة العبدالية (دراني) ثم وجه عساكره الى (هراة) و(مشهد) و(سجستان) وغيرها من بلاد خراسان وافتتح الجميع وكان في مكنته ان يفتح جميع بلاد ايران في ذلك الوقت غير انه رأى اشمئزاز نفوس الاهالي من الافغانيين لما سبق لهم من الاساآت اليهم وان تغيير المذهب الذي حدث فيهم بواسطة نادر شاه لم يكن متمكنًا منهم فعلم ان افتتاح تلك البلاد لايعود بعظيم فائدة واشتغل اولاً بتدبير داخليته واكتفى بتخليص امته وترك بعضاً من بلاد خراسان لابن نادر شاه قيامًا بواجب حق ابيه عليه وتكفل له بحفظه ثم لما رسخت قدمه في الملك ودان له جميع الافغانيين ساق عساكره ست مرات الى الاقطار الهندية ونال الظفر في كل مرة خصوصاً في الواقعة التي وقعت بصحراء (بني بتان) بالباء الفارسية فيها الواقعة بقرب مدينة (دهلي) وكانت تلك الواقعة مع (المراتيين) من عبدة الاوثان الذين اعجزوا اعاظم السلاطين التيمورية في الهند اذ كانوا يرومون نزع السلطنة من ايدي المسلمين وعساكرهم في تلك الواقعة كانت ثمانين الفًا وعساكر احمد شاه كانت ستين الفًا نصفها من الافغان ولم يكن اعتماد احمد شاه الا عليهم فهزم بهم عساكر المراتيين شرهزيمة ونكلهم تنكيلا حتى صارت هذه الواقعة سدًا لسبيل فتوحاتهم وانتشر له بهذه الواقعة احسن ذكر بالبلاد الهندية وكان ذلك مؤيدًا له في فتوحاته الهندية فافتتح بلادًا كثيرة كـ (بنجاب) و (كشمير) و (سند) وما يتاخمها من البلدان ثم فتح (بلوجستان) و (مكران) و (بلخ) وغيرها وخضع له بعد ذلك سائر الامراء الكبراء الذين كانوا على مقربة من بلاده وصار بتدبيره وحكمته متسلطنًا على مملكة عظيمة وكان رجال مملكته من الغنى والثروة بمكان الا ان مالية الحكومة كانت فقيرة فان خراج اقطار كابل وقندهار قد وهبه لامراء القبائل الافغانية ولم يكن يطلب منهم على ذلك عوضاً سوى الطاعة والانتظام في سلك العسكرية ... وكان هذا السلطان العظيم الشأن من قبيلة (السدوزئي) على ما تقدم وهي القبيلة التي كان الافغانيون يجلونها وينظرون اليها بعين الاعتقاد وكان مع ذلك شجاعًا ذا عزم وحزم وتدبير محكم وسداد رأي وعلم وحكمة وسعة اخلاق وطيب نفس وعدل وانصاف ورحمة بالضعفاء وعناية بشأن الرعية واصلاحها ومن اجل ذلك تمكنت محبته من قلوب رعاياه عمومًا مع اختلافهم في الاجناس والمشارب ومن قلوب الافغانيين خصوصاً حتى انهم كانوا يعتقدونه من المقربين الى الله ويعدونه ابًا لعموم الافغانيين ومن ثم لقبوه ببابا وهو الى الان يعرف عندهم بهذا اللقب اذ يدعونه احمد شاه بابا واستقرّ عرش ملكه وسلطنته على دعائم الثبات والتمكن ولكن لما كانت العلة الحقيقية لثبات الملك والسلطنة هي حكمته وتدبيره ولم يكن في عقبه من يكون على مثل حاله وقعت المملكة بعد موته في ارتباك واضطراب وكانت وفاته سنة ١١٨٥ وقيل سنة ١١٨٧ بعد ما قضى من العمر خمسين سنة . . . وكان وقتئذٍ ولده تيمور في مدينة هراة فلما سمع خبر الوفاة جمع العلماء والرؤساء وقواد العساكر وخاطبهم قائلاً ان ابي وهو في حال حياته جعلني ولي عهده غير ان وزيره اغراه وهو في الاحتضار بخلعي من ولاية العهد وتولية اخي سليمان بدلاً عني وهو الان تضرب له طبول السلطنة في قندهار وقد وضع يده على خزانة والدي وعظمت بذلك قوته واشتد باسه فهل فيكم من يوازرني على استرداد حقي المغتصب فصرخوا خافضين له جناح الخضوع وقالوا باجمعهم ان السواد الاعظم معك وكنا بين يديك وعلى اهبة لتنفيذ اغراضك ثم اجتمعوا في مزار (خواجه عبد الله الانصاري)

وقام الشيخ يحيي العالم المشهور اذ ذاك وقلده سيف السلطنة وخضع لهُ جميع الافغانيين واستعان بهم على اخيه حتى ظفر بهِ وسجنه في قفص ولبث في السجن زمن سلطنة تيمور الى ان مات فيهِ وكانت وفاته سنة ١٢٢٣ ثم قتل وزير ابيه الذي كان قد سعى في خلعه .. ثم ساق الجيش الى (هندستان) و (كشمير) و (لاهور) والجأ من نبذ طاعة الافغانيين الى الدخول في طاعتهم وبعد ذلك ببضع سنين قلد ولده الثاني (محمود) ولاية (هراة) ونقل كرسي السلطنة من قندهار الى كابل وجعل المتصرف فيها ولده الثالث (زمان) وقد كان هذا الولد على جانب عظيم من مكارم الاخلاق واتفق في تلك الايام ان (شاه مراد بك) امير بخارى اغار على مدينة (مرو) فدمرها واسر جميع اهلها وكانوا على مذهب الشيعة فاستغاثوا بتيمور شاه فهمّ لاستنقاذهم ولكن حال بينه وبين ذلك (فيض الله) احد القضاة حيث افتى بانه لا يجوز لسنّي ان يسعى في خلاص شيعيّ (فاعتبروا يا اولي الالباب) وتوفي تيمور بكابل ليلة الثامن من شوال سنة ١٢٠٧ وماتت راحة الافغانيين بموته لانه كان حسن السيرة لين العريكة محبًا للسلم ومن اجل ذلك قد نبذ طاعته بعض امراء البلدان وكان لهُ من النساء ثلاثمئة من الحلائل ليس فيهنّ افغانية وخلف ست وثلاثين ولدًا ...

ولما سمع همايون وهو في قندهار خبر وفاة والده قام في قومه برسم السلطنة وحشد الجنود وتوجه بها الى كابل ليستولي عليها فبلغ ذلك اخاه (زمان) فخرج لمقابلته بجيش جرار فتلاقيا واحتدم القتال بينهما في (كلات الغلجاي) غير ان همايون لم يثبت امام اخيه بل فرّ الى هراة والتجأ لاخيه الاخر (محمود) والتمس منه ان يعينه على (زمان) فلم يجبه ولما ايس منه ترك هراة وسلك طريق قندهار واتخذ له مقامًا بين المدينتين فاتفق ان قافلة كانت تاتي من قندهار الى هراة فاعترضها همايون وقتل رجالها واستلب اموالها واستعان بها على حشد جيش ليعاود قتال اخيه (زمان) فبلغ ذلك حيدر ابن زمان فخرج لصده فلم يقوَ عليهِ بل انهزم ودخل همايون مدينة قندهار وعامل اهلها بالخشونة وعذب تجارها ونهب اموالهم وجيش بها الجيوش ولما سمع بذلك (زمان شاه) ساق جيشه نحو قندهار واخذ في الحملة على همايون وكانت الدائرة عليه ففرّ الى (ملتان) وقاومه واليها حتى هزمه وقتل ولده واخذه اسيرًا وبعث بهِ الى (زمان شاه) فامر بسمل عينيه ... وبالجملة ان (زمان شاه) بمعونة القاضي (فيض الله) و (بايندہ خان) وبمساعدة البخت قد خلص لهُ الملك بعد ابيه واتخذ (رحمة الله خان) وزيرًا لهُ مع ان الامراء نصحوه بعدم توليته هذا المنصب فلم يسمع نصائحهم ولزم من اقامته فيهِ فساد على ما نبينه وقد نفذت سلطة (زمان شاه) في البلاد التي كانت تحت سلطة ابائه كـ(سند : وكشمير : وملتان : وديرة : وشكاربود : وبلخ) ثم سار بنفسه الى قندهار وفي اثنا ذلك قام اخوه (محمود) في هراة وادعى الاستقلال وحشد العساكر وسيرها نحو قندهار فلما احس بذلك (زمان شاه) خرج منها وتوجه لمقابلته فتلاقيا بين (كرشك) و (زمين داود) فطلب (زمان شاه) اولاً المصالحة من اخيه محمود فابى اتكالاً على قوته فاشتعلت نيران الوغى بين العسكرين وانجلت بهزيمة محمود ففرّ الى هراة ووقع كثير من امرائه في الاسر وخزينته في قبضة عساكر اخيه وبعد هذه الوقعة وقعت المصالحة بينهما على شرط ان تكون هراة و (فره) تحت امرة محمود وان تقرأ الخطبة وتضرب السكة فيهما باسم (شاه زمان) ...

ثم توجه الشاه الى كابل ومن كابل الى (لاهور) وتسلط عليها وعلى الممالك القريبة منها وعادت تلك الانتصارات على عسكره بالثروة والغنى وبينا هو في نواحي (لاهور) اذ بلغه ان محمودًا نقض المعاهدة ويريد فتح قندهار فاسرع بالرجوع اليها ومنها توجه الى هراة فلما

سمع بذلك محمود جمع عساكره وخرج من هراة لمقابلته الاَّ انه بلغه ان الامراء الذين تركهم في مدينة هراة قد اثاروا الفتنة فيها ونزعوا لتسليمها بغضًا في وزيره لكونه شيعيًا فاضطر للرجوع ولما دخل المدينة قام عليه قلج خان الذي كان رئيس اويمق (طائفة من الترك) مع فرقة من عساكره واظهروا العصيان فارسل وزيره الشيعي ليستميلهم فحبسوه وابوا الاَّ العدوان وفي هذه الحالة سمع ان (قيصر) ابن شاه زمان قرب من المدينة فلم يجد محيصًا من الهرب فخرج مع ابنه (كامران) وفرَّ الى بلاد العجم والتجأ الى فتح علي شاه (جد هذا الشاه الموجود الان) فدخل قيصر مدينة هراة بلا مانع ثم حل بها (شاه زمان) ابوه وجعله واليًا فيها . . وبعد مدة رجع محمود الى نواحي هراة وجمع بعضًا من العساكر لفتحها الاَّ انه لم ينجح بل انهزم وحيث لم تطب نفسه بالرجوع الى فتح علي شاه ذهب الى امير بخارى (شاه مراد) وبعد ان لبث عنده ثمانية اشهر استأذن منه في الذهاب الى خوارزم ثم توجه من خوارزم قاصدًا فتح علي شاه سلطان ايران مرة ثانية وبعد ما قضى مدة من الزمن عنده استعان به على تجهيز جيش جرَّار وساقه الى قندهار فدخلها بدون ممانعة ثم اتصل به فيها (فتح محمد خان) ابن (باينده خان) وساق معه الجيوش الى كابل فلما سمع بذلك شاه زمان خرج لملاقاتهما ولما التقى الجمعان وقعت بينهما حرب هائلة اريقت فيها دماء غزيرة من الطرفين وانتهت بهزيمة شاه زمان ووقوعه اسيرًا بيد اخيه (شاه محمود) فامر بسمل عينيه وقبض على وزيره (رحمة الله خان) الخائن الذي قد كان لطمعه في السلطنة اغرى شاه زمان بقتل جميع الامراء وفيهم (باينده خان) ابو (فتح محمد خان) الذي اتصل بمحمود فامر محمود بتجريد هذا الوزير الشرير من ثيابه والباسه ثوبًا من حصير واشهاره في المدينة على حمار ثم بقتله بعد ذلك ولما لم يقوَ قيصر ابن شاه زمان على مقاومة عمه ترك مدينة هراة لفيروز

الدين شقيق محمود والتجأ الى شاه ايران فتمت السلطنة لمحمود وتسلط على كرسي كابل . . ولما كان محمود يميل الى مذهب الشيعة نفرت منه قلوب السنيين فتحرك عرق حميتهم وثاروا عليه ثم خذله الشيعيون ايضًا واجمع امر الجميع على اعدائه فالقي القبض عليه وحبسوه في (بالاحصار) واخرجوا شاه زمان الاعمى من الحبس ليحكم فيهم الى ان يصل اليهم (شاه شجاع) وبعد خمسة ايام قدم شاه شجاع من البنجاب فاخرجوا محمودًا من السجن وقدموه الى شاه زمان ليقتص منه فعفا عنه رحمة به وامر برده ليحبس في (بالاحصار) وبعد زمن قليل توجه شاه شجاع بجيش جرار الى (كشمير) لتأديب واليها (عطا محمد خان) ابن (شير محمد خان) حيث بلغه عصيانه فلما وصل الى مدينة (مظفر اباد) بقرب كشمير وافاه سفير من قبل عطا محمد ليعتذر للملك عن عصيانه ويعرض عليه طاعة سيده وعبوديته له فرجع شاه شجاع بعد ما وثق من معاهده وبينما هو في الطريق اذ بلغه ان محمودًا ومن كان معه من الامراء في الحبس ذبحوا حرس القلعة وفروا والتحقوا بفتح خان الذي كان مسجونًا في قندهار وتخلص من سجنها واتصل بكامران ابن محمود وهو وقتئذٍ في نواحي الاراضي الافغانية وانه قد وقع لذلك اضطراب شديد في مدينة (كابل) فلما ورد (شاه شجاع) المدينة وشاهد القلق المستولي على اهاليها تاسف لذلك اسفًا عظيمًا . . . . . . وبعد اجتماع محمود وابنه وفتح خان ذهبوا الى هراة ليستعينوا بالامير (فيروز الدين) السابق ذكره والي تلك المدينة فقابلهم بكل احترام وقدم اليهم بعض هدايا والبسة فاخرة الاَّ انه لم يأذن لهم بدخول المدينة وابى مساعدتهم وابدى لهم عن ذلك اعذارًا فانقلبوا راجعين وفي اثناء رجوعهم صادفوا قافلة آتية من هراة الى قندهار واخرى من قندهار الى هراة فاجمعوا امرهم على ان يقطعوا سبيل هاتين القافلتين ويسلبوهما وقد

فعلوا وبعد ان تمت لهم الغنيمة جهزوا اربعة الاف خيال الى قندهار فلما اقتربوا منها بوز اليهم واليها (عالم خان) بعساكره وكانت مقتلة عنيفة انتهت باسر (عالم خان) وبعد مدة يسيرة افتتحوا المدينة واستولوا عليها .. ثم بعد مضي زمن جهزوا مائة الف وساروا بهـا لمحاربة (شاه شجاع) فالتقى الجمعان في (قزنه) وبعد ملحمة مهولة تقهقر (شاه شجاع) وفرّ الى كابل وحيث لم يكن على ثقة من الاهالي لم يركن اليهم فبارح المدينة متوجهًا الى (بيشاور) بعد ان ترك فيها الامير (حيدر) ابن (شاه زمان) وبذلك تم الظفر لمحمود فدخل واستوى على عرش الملك وابدى لرعيته علائم الشفقة والرحمة وقلد (فتح خان) منصب الوزارة وفوض اليه مهام اعمال السلطنة واطلق له التصرف ونصب ابنه (كامران) واليًا على قندهار ثم ان (فتح خان) اقام جميع اخوته ولاة في الممالك الافغانية

وفي خلال تلك الوقائع قُتل كامران (قيصر) الذي اسلفنا خبر هربه الى (ايران) وكان عوده لما سمع من ان عمه (شاه شجاع) صار سلطانًا . . . وبعد مدة طرد شاه شجاع من (بيشاور) فراسل عطا محمد والي كشمير يطلب منه ان يمده بالدنانير والدراهم فاجابه عطا محمد بانك ان بعثت ما لديك من الجواهر رهنًا ارسلت اليك ثلاثين الف روبيـة (كل لك منها يساوي عشرة الاف جنيها) ولم يكن عند الشاه من الجواهر سوى جوهرة كبيرة تسمى (درياي نور) اي بحر النور فقدمها لعطا محمد فارسل اليه خمسة عشر لكًا ووعده بارسال الباقي فجهز شاه شجاع جيشًا ورجع به الى (بيشاور) ليسير منها الى مدينة كابل .. فلما بلغ محمودا خبره اخرج (شاه زمان) من السجن وخاطبه قائلاً له ان المملكة قد حاق بها الضرر وآلت الى الخراب واريقت دماء المسلمين هدرًا فهلموا بنا نستبدل الشقاق بالاتفاق ونشتغل فيما يعود على المملكة بحسن العاقبة وعليَّ ان اقوم بجميع واجباتكم وانزال كل واحد منكم منزلة لائقة به واطلق جميع الامراء المحبوسين من قيودهم وعليكم ان تراعوا مكانتي نظرًا لكوني ابنًا بكرًا لأبينا .. ولما سمع شاه زمان هذا الخطاب بعث يخبر به اخاه شاه شجاع فلما وصل اليه الكتاب اتخذه وسيلة لتهديد عطا محمد اذ كتب اليه ان لم تعني بالمال والرجال لاتفق مع اخي على قلع اساسك فاهتم لذلك عطا محمد وجهز خمسة الاف وسار بها الى بيشاور ففرح لذلك شاه شجاع ظنا منه ان عطا محمد قادم لامداده ولكنه اضمر غدرًا وفاجاء الشاه بتلك المدينة وقبض عليه واخذه اسيرًا في قفص الى كشمير واجتهد في تحصينها وكاتب حكومة الانكليز في الهند للاتفاق معه على ان يجهز جيشًا لحرب (رنجيت سنك) الوثني(١) الذي اغتصب في اثناء تلك المناوشات الاهلية بعض (البانجاب) من بلاد الافغانيين وتخليص البلاد التي استولى عليها وتركها بقبضة الانكليز بشرط ان تعضده ان قصده محمود بسوء فوقعت المكاتبة بيد جواسيس (رنجيت سنك) وقدموها له فبعث بها الى محمود طالبًا منه ان يتحد معه في الهجوم على عطا محمد فجهز كلٌّ منهما جيشًا وفاجآه فاخذاه اسيرًا الاّ ان محمودًا قد عفـا عنه وخلص (شاه شجاع) من الاسر واقام (فتح خان) الوزير اخاهُ (عظيم خان) واليًا على كشمير واستصحب (رنجيت سنك) شاه شجاعًا وذهبا الى مدينة (لاهور)

ثم بعد مضي سنتين شرهت نفس (رنجيت سنك) للاستيلاء على كشمير فجهز ثمانين الفًا من عبدة الاوثان

---

(١) هو من اتباع بابا نانك الذي نبغ في الزمن الاخير بين عبدة الاوثان ووضع كتابًا منتخبًا من موءلف (جاروبد) الكتاب السماوي المقدس مسميًا اياه (كريت) وهذا الانسان قد جوّز اكل اللحوم خلافًا لغيره من عبدة الاوثان ونهى عن وضع الاصنام بمعابدهم مشيرًا الى وجوب الاعتياض عنها بكتابه المذكور

البابا ناكيين وسار بها الى تلك المدينة ولم يكن عند عظيم خان سوى عشرة الاف من المسلمين فكمن بهم حتى دخل الجيش الوثني الوادي فاحدقت بهم العساكر الكامنة من الجهات الاربع واوقعوا بهم قتلاً واسراً فكان عدد من قتل واسر اربعين الفًا وفرّ باقي العساكر الى بلادهم ناجين بانفسهم مع العناء والمشقة فانفعل لذلك (رنجيت سنك) وكتب يستعطف محموداً ويعتذر اليه مما فعل قائلاً ان الذي اغراهُ على ما فعل انما هو شاه شجاع ولما استشعر بذلك الشاه همَّ بمفارقة (لاهور) فطمع (رنجيت سنك) في مجوهراته فابى ان يسلمها اليه على وجه الملكية بل اعطاه اياها على سبيل الامانة وكان من جملتها (درياي نور) (واظن انها هي التي اصبحت الان درّة تاج بريتانيا) ثم فرَّ ليلاً والتجأ لحكومة الانكليز فتأسف (رنجيت سنك) لذلك وكتب اليه يستميله الى الرجوع فلم يطب به نفساً فردَّ عليه مجوهراته واما الانكليز فانهم عدّوا التجاء الشاه اليهم من اسباب حظهم فاكرموا وفده ... وفي تلك الاوقات تحرَّكت عزيمة (شاه زمان) الاعمى الذي كان موقراً عند العلماء والامراء للسفر الى (بلخ) قاصداً زيارة قبرٍ هناك مشهور بانه قبر سيدنا علي (رضه) فبلغها وسافر منها الى (بخارى) فقابله اميرها (مير حيدر) بالتعظيم والاجلال وتزوج بابنة الشاه ثم سافر من (بخارى) الى (طهران) فاكرمهُ (فتح علي شاه) مزيد الاكرام وزوّده ثم شخص الى بغداد وكان واليها اذ ذاك داود باشا المشهور ومنها قصد الحج فمات في الاقطار الحجازية وفي خلال تلك الحوادث سنة ١٢٢٣ من الهجرة ازمع حاجي فيروز الدين الذي كان واليًا في هراة من طرف اخيه محمود ان يفتح خراسان معتمداً على همة (صوفي الاسلام) البخاري الذي هو من الصوفية الجهرية وقد كان ترك بلاده خوفًا من (بيك جان الازبك) وكان ايضاً يزعم ان الوحي ينزل عليه وانهُ يقدر على خرق العادات طامعًا ان يرتقي بانفاسه

الباطنية الى عرش السلطنة فجهز خمسين الفًا من قبائل (هراة) و (قندهار) و (اندخود) و (كندز) و (ميمنة) و (فارياب) وسار بها الى قلعة : شكيبان : فلما احسَّ بذلك نائب خراسان : محمد خان قاجار : جهز جيشًا لمقابلته فلما تقابل الجيشان على بعد سبعة فراسخ من هراة اشتعلت نيران الحرب بينهما حتى تفني كثير من الحزبين وقتل صوفي الاسلام المذكور وكان في قلب المعسكر داخل هودج مزركش محاط بثلاثمائة وستة وستين من خلص اتباعه بعد ما قتلوا جميعًا فعند ذلك تقهقرت عساكر فيروز الدين الى هراة واما عساكر محمد خان فقد احرقوا جثة صوفي الاسلام وارسلوا جلدة رأسه بعد سلخها وحشوها تبنًا الى (فتح علي شاه) (هذا جزاء من اوقع الفتنة بين طائفتين من المسلمين حتى سفك بعضهم دم بعض حيث غرَّهم واوهمهم بمشيخته وتمويهاته وادعائه الكاذب انه ممن ينتهي اليهم زمام التصرف في عالم الكائنات بما ينطوي عليه من القوة الالهية والاسرار الربانية)

وبعد انهزام فيروز الدين اضطر الى ان يرسل الى الشاه هدايا فاخرة استمالة لقلبه واتقاء لضرره بكف عساكره عنه وقد تعهد ايضًا ان يقدّم الى سدة الشاه كل سنة جزءًا وافراً من الخراج وكان فيروز بعد هذه المصالحة مع الايرانيين بين اقدام واحجام ومحاربة ومصالحة وتسنن وتشيع الى ان اشتدت المنافسة بينه وبين (حسن علي ميرزا) ابن فتح علي شاه والي خراسان وخاف من اغارته على بلاده فارسل سفيراً الى اخيه (شاه محمود) يستمد منه فعقد ذلك محمود وسيلةً للاستيلاء على مدينة هراة فارسل وزيره فتح محمدخان بجيش جرار ولما وصل الى المدينة استوحش منه فيروز ولم يسمح بدخوله فيها بل امره ان يتوجه لاخذ (غوريان) من يد الايرانيين الاّ ان فتح محمد خان كان مأموراً من طرف سيده بدخول مدينة هراة فلم يرَ بدًّا من

اعمال الحيلة لاخذها فارسل الى فيروز يطلب منه القدوم الى المعسكر ليستشيره فلما خرج اليه قبض عليه وارسله مع اهله اسيراً الى قندهار ودخل المدينة واقام بها وجهز اخاه (كهندل خان) لتسخير غوريان ونشر مكاتيب في بلاد خراسان يدعو بها رؤساء القبائل للاتحاد معه على محاربة الايرانيين . ولما سمع بذلك (حسن علي ميرزا) ارسل جيشاً لمحافظة تلك البلدة . ولما حصل التقاوم بين المدافعين والمهاجمين جهز (فتح خان) جيشاً كبيراً من اهالي قندهار وهراة وبلوجستان وسجستان وقبائل جمشيدي وهزاره وفيروزكوهي وسار به مصحوباً بالمدافع والزنبورك لتسخيرها وسائر بلاد خراسان الباقية تحت سلطة الايرانيين وعند وصوله الى (كوسيه) بلغه ان حسن علي ميرزا وصل بعساكره الى (كافر قلعة) لمقاومته وكان بينهما اذ ذاك فرسخان فارسل اليه سفيراً يطلب منه تسليم (غوريان) ويهدده بالحرب قائلاً من ذا الذي يدري عاقبة الحرب أهي لك او عليك وربما اوقعك كبرك واشمئزازك الناشئان عن رؤيتك نفسك ابن سلطان في امر يوجب تزلزل سلطنة ابيك . . فاجابه حسن علي ميرزا على لسان سفيره بان سيدك محموداً المتربي بنعمة الشاه لا يليق به ان يتكلم بمثل هذا الكلام فضلاً عن خائن مثلك قد حارب ساداته السدوزائية

فلما رجع السفير خائباً ساق فتح خان عساكره الى كافر قلعة ووقعت بين العسكرين محاربة مهولة قتل فيها جم غفير من الفريقين حتى اذا كاد ان ينهزم العساكر الايرانيون أُصيب فتح خان برصاصة في فمه فتقهقر الى هراة فاضطرب شاه محمود وولده كامران اللذان كانا وقتئذ في المدينة فارسل (ملا شمس) مفتي هراة و(خان ملاخان) اي شيخ الاسلام الى فتح علي شاه ليخبراه ان هذه الجراءة من فتح خان ولم تكن بعلم من محمود وليستعطفا قلبه اليه ولما اطلع الشاه على فحوى السفارة خاطب السفراء قائلاً اني لا ارضى من شاه محمود الاَّ ان يبعث اليَّ فتح خان او يسمل عينيه ولما احاط كامران بذلك علماً حمله الجبن وضعف النفس وقلة العقل على سمل عيني هذا البطل الشجاع الذي اقعد اباه على كرسي السلطنة وحبسه مع اخيه (شيردل خان) وفرّ (دل خان) اخوه الثاني من هراة الى قرية (ناد علي) وتحزب مع جماعة من الغلجائي على كامران ليخلص اخويه وعند سماع كامران هذا التحزب امر باطلاقهما جبناً منه وضعفاً . . .

ولما شاع خبر سمل عيني فتح خان ووصل الى مسامع اخيه الثالث الشديد البأس (عظيم خان) والي كشمير ارسل اثنين من اخوته وهما (دوست محمد خان) و (يار محمد خان) الى (بيشاور) لطلب (شاه زاده ايوب) اخي محمود ليقلداه السلطنة وقد فصلا ونادياً باسمه ودخلا في حدود (جلال اباد) وهجم دوست محمد خان على كابل وافتتحها وارسل ايضاً اخاه (محمد زمان خان) لطلب « شاه شجاع » الذي كان مقيماً في البلاد الهندية التي كانت تحت سلطة الانكليز فجاء شاه شجاع المذكور وحارب سمندر خان والي دره وغلبه . . وبالجملة فقد قام اخوة فتح خان الذين يبلغ عددهم عشرين رجلاً واتحد كل واحد منهم بواحد من ابناء تيمور شاه الذين يبلغ عددهم اثنين وثلاثين رجلاً وداروا بهم في البلاد الافغانية شرقاً وغرباً وقلعوا اساس ملك محمود ولم يبقَ في يده سوى قندهار وهراة ثم انتزعوا الملك من ابناء تيمور واستقلّ كل واحد في ولاية من ولايات افغانستان كل ذلك اخذاً بثار عيني اخيهم

ثم بعد زمن قليل استولوا على قندهار ونزعوها من يد محمود ايضاً فانحصرت سلطة محمود على هراة ونواحيها وفي سنة ١٢٤١ ساء ظن محمود بابنه وتفرس منه العصيان وخاف منه ان يقبض عليه فخرج من هراة وجمع بعضاً من قبائل (فراه) وتوجه لمحاربته فاضطر ابنه

للالتجاء بحسن علي ميرزا والاستغاثة به فاعانه فغلب اباه وهزمه وأعد كامران اي الابن المذكور بعد هذه الواقعة مأدبة فاخرة في هراة دعى اليها حسن علي ميرزا وسلمه مفاتيح خزائنه ..

وفي اثناء هذه الفتن استفحل امر (رنجيت سنك) الوثني الذي سبق ذكره حتى استولى على ولاية كشمير على غيبة من (محمد عظيم خان) واليها حيث ذهب الى كابل لزيارة اخيه (دوست محمد خان) وفي سنة ١٢٤٥ ارسل كامران سفيراً الى الشاه ليستعين به على ابيه محمود ثانياً فصادف وصول السفير الى ايران وفاة ابيه بمرض الوباء وتلاقى هذا السفير مع فيروز الدين الذي ذكرنا انه حبس في قندهار وكان قد هرب منها الى ايران في فتنة فتح خان فاتفق معه على خلع كامران واجلاسه على كرسي هراة واغراه بان يستعين بالشاه على ذلك وبعد ما ابرما امرهما وجهزا بعضاً من الجيوش وقفلا الى هراة وقعت في اثناء الطريق منازعة بين خدم فيروز وبعض الايرانيين فخرج لمساعدة خدمه فقتله الايرانيون على غير علم منهم

وفي سنة ١٢٤٨ عزم عباس ميرزا على ان يفتح هراة فارسل ابنه محمد ميرزا مع عسكر جرار اليها ووقعت محاربات شديدة آلت الى محاصرتها وكان سفير الانكليز (مستر كميل) وقتئذٍ قد سعى سعياً بليغاً لمنع هذه المحاربة ولكن خاب مسعاه وبينما كان محمد ميرزا محاصراً لتلك المدينة اذ بلغه موت ابيه فرأى من المصلحة ان يطلب المصالحة مع كامران فوقع هذا الطلب عند كامران موقع القبول وحوّل امر المصالحة على وزيره (يار محمد) الذي كان اذ ذاك محبوساً عند الايرانيين في (مشهد) فعقدت المصالحة على ان تضرب السكة في هراة باسم فتح علي شاه وان يدفع له كامران في كل سنة خمسة عشر الف (تومان) .... ولما علم الانكليز ان دخول الممالك الافغانية في حوزة الايرانيين يستعقب زوال

سلطتهم في الهند جهزوا شاه شجاع وايدوه بعساكر من لدنهم واوعزوا الى (رنجيت سنك) الوثني وامير السند (مير غلام علي خان) بتأييد شاه شجاع فلبيا دعوتهم وان لم يكونا تحت سلطتهم فايداه وعززاه بالعساكر حتى تم له من العساكر نحو ثلاثين الفاً وتقدم بهم الى قندهار من طريق (بنجاب) فقابله (كهندل خان) واخوته وقاتلوه فهزموه شر هزيمة وفر الى هراة واستنجد ابن اخيه كامران فابى وبعد معاناة مشاق كثيرة وصل الى بلاد (بلوچ) ومنها الى الهند (والحاصل ان شره تيمور شاه وانهماكه في الشهوات وحرصه على اللذات وكثرة اولاده من امهات مختلفة اوجب سلب الراحة وزوال الامنية عن الاهالي وسفك دماء الوف من الناس وحرص كل من ابنائه على الملك تسبب عنه حرمان الجميع)

وفي سنة ١٢٥٠ عزم كامران على فتح سجستان فالتجأ اميرها الى محمد شاه ابن عباس ميرزا فاتخذ الشاه ذلك وسيلة الى فتح هراة فجهز جيشاً وسار اليها وحاصرها زمناً طويلاً وكان الافغانيون يخرجون من الحصار ويهاجمون عساكر الشاه ببسالة غريبة ولما اشتد الامر على كامران ارسل ابنه (نادر ميرزا) الى (ميمنه) و (شبرغان) و (سربول) ليدعو الازبك وهزاره فاجابوا دعوته وجهزوا جيشاً عظيماً وساقوه الى هراة لرفع الحصار عنها ووقعت بينهم وبين عساكر الشاه محاربات كثيرة قتل فيها جمع كثير من الطرفين ثم استظهر عساكر الشاه عليهم فاضطرب لذلك كامران واستشار وزيره في امره فانحط رأيهما على المناداة بالحرب الدينية فتوسلا بملا (عبد الحق) احد علماء هراة العظماء فقام يوم الجمعة واذن في الناس بالجهاد الديني فلباه اهل المدينة وسكان القرى القريبة منها فاغتسلوا غسل الجمعة وقصوا اظفارهم ولبسوا اكفانهم وخرجوا يهجمون على اعدائهم واوقعوا بهم وقتلوا كثيراً من اعيان الايرانيين الا انهم لم يقدروا على اجلائهم فرجعوا الى المدينة

وبعد ان طال زمن الحصار توجه سفير الانكليز (مكنيل) من طهران الى المعسكر وبعد ان تقابل مع الشاه ورأى ان افتتاح المدينة قد قرب. وفي علمه ان ذلك يوجب انقياد الافغانيين واتحادهم معه وفيه من المضرة بسلطتهم في الهند ما لا ينكر قال للشاه دعني ادخل المدينة وارضي كامران بالتسليم فاذن له الشاه ظنًا منه انه صادق فيما يدعي فلما دخل المدينة ولاقى كامران اخذ في تشجيعه وتثبيته وقال لا يصح لك ان تسلم اصلاً وانك ان تثبت زمنًا ما نرسل لك المدافع والبنادق والذخائر ووانقه على ذلك ثم خرج وقال للشاه انني كلما هددته هو وعساكره او رغبتهم لم ينجع مقالي فيهم ولم يرهبوا لتهديدي ولم يطمعوا لترغيبي ... وبعد ذلك امر الشاه بجمع النحاس الموجود في المعسكر فعملوا منه مدفعًا كبيرًا هائلاً ورفعوه على تل عالٍ وسلطوه على المدينة واخذوا في اطلاقه فاشتد البلاء على من فيها مع شدة القحط والغلا حتى انهم اخرجوا من الضعفاء والفقراء نحو اربعة عشر الفًا فارسل كامران سفيرًا لعرض التسليم ولما استشعر بذلك سفير الانكليز اضطرب وارسل الى كامران سرًّا يطلب منه التثبت ويعده بانه سيرفع هذا البلاء عنه ثم ذهب الى الشاه وقال له ان بين انكلترة ودولتكم مودة وان فتح هراة يستوجب ثوران الفتنة في الهند فارجو منكم ان تكفوا عنه فلم يقبل رجاءه

ولما سئم الشاه من طول المحاصرة ركب جواده وتقدم امام العساكر ونادى فيهم بالهجوم على المدينة فهجمت العسكر دفعة واحدة واطلقت المدافع عليها فتهدم كثير من اسوارها وكادت تفتح لولا ان السفير الانكليزي تقدم الى الشاه وقال انني اتوسل اليكم ان تأذنوا لي في الذهاب الى المدينة ثلاثة ايام حتى اتي بكامران ووزيره واسلمهما لكم بدون سفك دماء وسلب اموال ولمجد انكلترة لا تردوا رجائي هذا فأذن له الشاه بذلك لمجد انكلترة ولما اتصل بكامران وشيعته اعطى لهم خمسة الاف جنيهًا وقال ان الحرب قد وضعت اوزارها ثلاثة ايام فاقيموا ما انهدم من الاسوار وتثبتوا الى ان تأتي مراكبنا من خليج فارس ولما اطلع الشاه على ذلك طرده من المعسكر وبعد ذلك احتد الشاه واضطرمت نيران غضبه واعاد الهجوم على المدينة وحمي وطيس الحرب وثبت الافغانيون في المدافعة وبلغ من امر الايرانيين ان كانوا يصعدون الى رأس القلعة والافغانيون كانوا يدافعونهم عنها وكثرت القتلى بين الطرفين وفي اثناء تلك الملحمة جاءت مراكب الانكليز في خليج فارس واستولت على جزيرة (خارق) فلما بلغ الخبر مسامع الشاه رأى من الاولى به ان يترك المحاصرة ويشتغل بمدافعة الانكليز عن بلاده وكان سائر مأموري الانكليز مدة المحاصرة يحثون امراء كابل وقندهار على حرب الايرانيين ويحملون العلماء بالدراهم والدنانير على المناداة بالحرب الدينية ولكنهم لم ينجحوا في مساعيهم ولقد طالت مدة هذه المحاصرة عشرين شهرًا وكان ذلك سنة ١٢٥٥

ولما علم الانكليز من امراء الافغانيين الميل الى الايرانيين اذ كان (دوست محمد خان) امير كابل وكهندل خان والي قندهار وسائر اخوتهما الذين نالوا الملك بعد تفرق كلمة ابناء تيمور يراسلون الشاه في خلال محاصرته لمدينة هراة ويوادونه ويرسلون السفراء اليه توجسوا من ذلك شرًّا خيفة اتفاقهم الذي يوجب تقلص ظلهم من بلاد الهند فاخذوا اذ ذاك يترقبون فرصة لاستيلائهم على بلاد الافغان فلما احسوا من الافغانيين النفور والاشمئزاز من امرائهم الجدد رأوا اذعنت لهم الفرصة ان يتخذوا شاه شجاع واسطة يتوسلون بها الى غرضهم من الاستيلاء على تلك البلاد فجهزوه في جيش جرار مؤلف من جنود منتظمة وغير منتظمة تقودهم المهرة والامراء ذوو المراتب السامية والمناصب الرفيعة من الانكليز فسار شاه شجاع بذلك الجيش من طريق البلوج وسجستان الى قندهار وكان قد تقدم هذا الجيش رجال

يدعون الافغانيين الى شاه شجاع ويذكرونهم بانه الوارث الحقيقي للملك وهو احق بالسلطنة ويحثونهم على التخلص من سلطة هولاء المتغلبين عليهم ولما وصل الشاه الى قندهار رأى واليها كهندل خان ان لاطاقة له على مقاومته لقلة جيوشه وشدة ميل اهل المدينة الى الشاه فخرج هو وعائلته في خمسمائة من خيالته وقصد طهران فاكرم محمد شاه مثواه وقلده ولاية (شهر بابك) من بلاد فارس .

ثم ان شاه شجاع جعل (تاو) الانكليزي واليًا على ولاية قندهار وبعد ذلك سار بجيشهِ الى كابل وفتح في مسيرهِ مدينة (قزنه) وبعد وصوله الى كابل لم يجد (دوست محمد خان) اميرها من نفسهِ قوة على المقاومة ولا اقتدارًا على المصادمة فاضطر الى الخروج منها وقصد بخارى ليستعين باميرها فلم ينجح قصده ورأى منه عدم الاحتفال بهِ بل الاهانة والتحقير فانقلب راجعًا وسلم نفسه الى الانكليز فاخذوه اسيرًا وبعثوا بهِ الى (كلكوتا) . اما شاه شجاع فقد جعل (ميجر بانجر) من اعيان الانكليز واليًا على كابل ثم استولى على (جلال اباد) بدون منازع ولا ممانع وبعد هذا ارسل الانكليز (بنت جركه) في عشرين خيالاً من الانكليز مع ثلاثمائة الف جنيهًا الى كامران ليعطيه اياها ويدعوه الى اجابة دعوة شاه شجاع فقبلها وابقى الرسول الانكليزي ومن معه عنده حتى انفق ذلك المبلغ في تحصين القلاع والاستحكامات وجمع الذخائر ثم طردهم جميعًا وبعث اثر ذلك الى محمد شاه يعتذر له عما فرط منه في حقه وقبل ان يخطب ويضرب السكة باسمه وكان ذلك سنة ١٢٥٧ . وعلى كل حال قد استتب الامر وتوطدت السلطنة في غالب انحاء البلاد الافغانية لشاه شجاع لكن صورة وللانكليز معنى حتى ايقن الانكليز كافةً ان البلاد الافغانية آلت اليهم وصارت جزءًا من ممالكهم يستحيل تملصها من ايديهم وقد لبثوا فيها ثلاث سنين وبضع شهور

ثم في شهر جمادى الثانية سنة ١٢٥٨ ارسل شاه شجاع اشخاصًا يحصلون اموال الجباية من بعض القبائل فأبوا دفعها واستعصوا وتمردوا ووقعت بينهما مناوشة جزئية فلما بلغ شاه شجاعًا خبر تمردهم ارسل جماعة من العساكر لكبحهم وتأديبهم فلما رأى المتمردون من انفسهم عدم الاقتدار تبددوا في قلل الجبال . وفي غرة رجب خرج من مدينة كابل ثلاثة من خوانين (جمع خان) الغلجائي وانضم اليهم جماعة من القبائل واخذوا في شن الغارة وقطع الطريق ينهبون ويسلبون واتخذوا لهم استحكامًا في موضع على مسافة ثلاثة فراسخ من كابل وصار الطريق منها الى الهند مقطوعًا وفي اثناء ذلك اتفق ان (محمد اكبر خان) الذي كان بعد اسراء ابيه (دوست محمد خان) يجوب المدن ويجول في البلاد ورد مع جماعة من رجالهِ على مدينة (باميان) فاجتمع بهِ هؤلاء وانضم الى الجميع ايضًا جماعة من طائفة الغلجائي الذين كان قد فرض لهم الانكليز راتبًا ثم قطعه عنهم حكمدار الانكليز في الهند ضنا وشحًا فاشتدت الفتنة وعظم الخطب فبادر الانكليز بارسال (مكننكتن) و (منس) مع جماعة من العساكر لتدارك الامر وكف شر هذه الفتنة ولما زايلوا كابل وصاروا على مسيرة ثلاثة فراسخ منها خرجت عليهم شرذمة من طائفة الغلجائي وصادروهم وقتلوا منهم نفرًا فوقف الجيش عن المسير ثم لحق بهم الجنرال (سيل) مع افواج من العساكر بقصد مبارزة (محمد اكبرخان) ولكن كانوا في غاية الرهبة والخوف من اغارة الافغانيين وفي ليلة عشرين من رجب بعثوا يطلبون مددًا من العساكر ايضًا فوصلهم المدد وقصدوا مكمن (محمد اكبرخان) ووقعت بينهم وبين الافغانيين في اثناء الطريق محاربة استمرت يومين ولم يظفروا بهِ . وفي خلال ذلك كان شاه شجاع قد سجن شخصًا اسمه (حمزه خان) الغلجائي

فهاجت خواطر الغلجائيين وثار منهم ثلاثة آلاف وسد طرق كابل من سائر اطرافها فخرج (ميجر كريفس) خارج المدينة ووقع القتال بينه وبينهم وقتل جماعة من اكابر الانكليز

وفي غرة شعبان هاج اهل المدينة واغلقوا حوانيتهم وهجموا على منزل (اسكندر برنس) وفتكوا به وصلبوه على قارعة الطريق ثم انصبوا على خزينة الحكومة فنهبوها وكانت الخزينة اذ ذاك تحت نظارة (جانسن) ولما سمع شاه شجاع وهو في (بالاحصار) بما كان من الامر ارسل ابنه في رجال من الجند ومعهم مدفعان لكن لم يجدِ ذلك في اطفاء نار الفتنة نفعًا

ثم هجم الافغانيون في الرابع من شعبان فاستولوا على (باغشاه) وقلعة (محمد شريف) ووضعوا حامية لقطع المواصلة بين القلعة التي احتكر فيها الانكليز ذخائرهم وبين استحكاماتهم وكانت عبارة عن رصيف يبلغ الف ذراع طولاً وستمائة ذراع عرضًا وعمدوا بعدذلك الى قلعتهم المذكورة فحاصروها وكان بها (انسن وارن) مع فوج من الهنود وطائفة من الحرس لكنهم لم يستطيعوا فك حصار الافغانيين عنها حتى رضي الانكليز بترك القلعة لهم وانما ارسلوا (كابتان سوين) مع طائفة من العساكر لاستخلاص (انسن وارن) وانقاذه من ايديهم لكن الافغانيين اوقعوا بهم ايقاعًا فقتل (كابتان سوين) وكثير ممن كانوا معه ورجع الباقي منهزمين الى المعسكر ثم ارسلوا (انسن كارون) مع جماعة ايضًا من العساكر لانقاذه فلاقوا ما لاقاه الجيش الاول

ثم ذهب (كابتان بويد) عند سردار عموم العساكر وقال لو سلمت القلعة الى العدو فانه فضلاً عن انا نخسر نحوًا من خمسين الف جنيها قيمة ما فيها من الذخائر لا يبقى لدينا من القوت ما يكفينا سوى يومين فماذا نصنع وليس بالسهل جلب الاقوات والذخائر لبعد الشقة ولما وثق السردار مما قال له (كابتان بويد) ارسل الى (انسن وارن) ليثبته ويامره بان يقاوم مها استطاع وان يحذر من تسليم القلعة ويعده بانه سيدركه عما قليل بالمدد .. فاجابه انسن وارن بانه اذا لم يدركنا المدد هذه الليلة فلا نجاة ولا مخلص لنا من يد العدو اذ اخذ ينقب علينا احد ابراج القلعة حتى اشتد الخوف وتمكنت الرهبة من قلوب رجالنا وحتى ان بعض الحامية القى بنفسه من القلعة رهبة ووجلا فما لم تدركونا الليلة بتنا في قبضة عدونا ولما وصل هذا الجواب جمع السردار رؤساء الجيوش وامرائه وتفاوض معهم مستمدًا من رئيسهم حيلة يتوصل بها الى تخليص القلعة ونجاة حاميتها من بلاء العدو فاجمعوا امرهم على ارسال المدد في ليلتهم اعتمادا منهم على ان الافغانيين يجهلون وجوب الحراسة ولزوم التيقظ والانتباه لكن رأوا من الاحتياط ان يبثوا الجواسيس اولا ليأتوهم بحقيقة امرهم فارسلوا (كابتان جان) فلم يلبث ان غدا عليهم بما أيسهم من امكان ايصال المدد اذ رأى الافغانيين على يقظة يتشاورون في امر الاستيلاء على القلعة في تلك الليلة فاضربوا عن ارسال المدد وعند الفجر زحف الافغانيون على القلعة ببأس واقدام شديدين واحرقوا بابها فخرجت حاميتها من الباب الاخر وهربوا الى معسكرهم فاستشاط الانكليز من ذلك غيظًا ودعتهم خشية العار ومخافة الجوع الى ان يبعثوا بجيش الى قلعة (محمد شريف) ليستولي عليها تحت قيادة (ميجر) فاخذ ذلك القائد حين ما شرع الجيش في المسير يروغ حينًا ويتوارى حينًا اخر فلما رأت الانكليز منه ذلك أجلت مسيره وفي الغد جهزوا جيشًا تحت قيادة (كريفتس) وسار فاستولى على قلعة (محمد شريف) وعلى نصف (باغشاه) بعد حرب قتل فيها (عبد الله خان) وقائده كان (كابتان اندرس) ثم داخل الافغانيين الحماسة واظهروا البسالة حتى استردوا ما أُخذ من (باغ شاه) وفتكوا بالانكليز وقتلوا منهم عددًا كثيرًا . . . . وفي اليوم الثامن من

شعلوق انضم (قرل باش) كابل الى الافغانيين واخذوا في ثغر قلعة (محمد شريف) فغلب الخوف على الانكليز واستولى عليهم من الطيش والدهشة ما لا مزيد عليه وفي خلال ذلك مرض سردار عموم العساكر الانكليزية فرأى الوزير المختار الانكليزي (اي الحاكم العمومي او القنصل) وكان اسمه (سير وليم) لن يقيم مقام هذا السردار احدًا سواه فاستدعى لذلك (بريكد دعر مشيل ثان) فاجابه وجمع من كان في (بالاحصار) من عساكر الانكليز وعساكر شاه شجاع وقادهم الى الاستحكامات وعند وصوله فبدلاً من ان يشجعهم ويثبت اقدامهم قام في المعسكر وقال اعلموا لن لا طاقة لنا على مقاومة الافغانيين ولو ثبتنا لاستأصلونا عن اخرنا فالاجدر بنا ان نخلي عن هذا المكان ونلحق (بجلال اباد) ونتحصن فيها فاجابه السردار قائلاً انا لن نبرح من ههنا بل لا نزال ندافع عن انفسنا ما استطعنا فان خروجنا ومقابلتنا بالافغانيين بالبادية ما هو الا ان نلقي بانفسنا في افواه الآساد فزاد اختلاف الكلمة بينهم خوفهم وضاعف وجلهم وكان من امر الافغانيين في هذه الاثناء ان استولوا على المرتفعات المشرفة على المعسكر شرقًا وغربًا وعلى برج (ريكا باش) واخذوا يمطرون على الانكليز كرات المدافع ويصبون على رجالهم رصاص البنادق فبادر الوزير المختار الى استنهاض (شلتان) وامره في الحال بالحملة على قلعة (ريكاباش) فتأهبت العساكر وهمت بالخروج من الجانب الشرقي فضلّ (كبتان بلو) الطريق بمن قادهم وخرج من جانب آخر ففاجأه الافغانيون فارتعدت فرائصه ونزل به ما تمنى الموت دون لقياه فاوقعوا به وقتلوا من رجاله مقتلةً عظيمة فهمّ (كولونيل مكرلان وليفتنانت برت) بافواجهما لاستنجاد (كابتان بلو) فحال الافغانيون بينهما وبينه ووضعوا السيف في العسكرين جميعًا واذ رأى (شلتان) هذا الهول دبّت فيه الحمية فامر الجيش عمومًا بالحملة على الافغانيين فهاجموهم دفعةً فصدوا ثم عاودوا الهجوم فردّوا ثم استأنفوا الهجوم وفي هذه الكرة لم يبقَ منهم في قيد الحيوة الا (ليفتنانت برت) وبرجل اخر ولم تخسر الافغانيون في تلك الوقعة الهائلة الاّ ثلثين فارسًا ووفق الانكليز بخلال كرّهم وفرّهم في هذه الواقعة ان استولوا على قلعتي (ريكاباش) و(ذي الفقار) واصابوا فيهما مقدارًا من الحنطة فاخذوا ان يجمعوه ويذهبوا به الى معسكرهم ولكن لم يلبثوا ان اقبل الليل وهاجمهم فيه الافغانيون وتغلبوا هاتين القلعتين عليهم وتمّ لهم استردادهما ليلاً واجلوهم عنهما منهزمين

وفي الثالث عشر من شعبان قامت طائفة من الافاغنة ووضعت ثلاث مدافع على رابيةٍ مشرفة على المعسكر الانكليزي من الجانب الغربي واطلقوها عليهم فالوزير المختار امر (شلتان) ان يخرج اليهم (ميجارشتوين) فخرج في فريقٍ من العساكر حتى صار على مسافة اثني عشر ذراعًا من مشاة الافغان فوقع القتال بينهما وثبت الافغان يومهما والموا بلاءً حسنًا لكن لما حمي الوطيس عاد فرسانهم فاضطرت مشاتهم الى الرجوع فاستولى الانكليز على الربية وكسروا عجلة احد المدافع الثلاث واخذوا الاثنين الباقيين الى المعسكر فارتاحت لذلك خواطر الانكليز بعض الارتياح وكاد ان يعاودهم بعض ما فقدوا من النشاط لولا ان جاءهم من قبل الجنرال (سيل) الذي كان مقيمًا في (جلال اباد) خبر بان ليس في طاقته ان يمدّهم قبل مضيّ فصل الشتاء فقنطوا لكن رأوا حرصًا على الحيوة ان يحتالوا لاخذ استحكام (محمد خان) اذ كان هو المانع من وصول الذخائر اليهم من (بالاحصار) فاقعدهم عنه (استورت) المهندس بقوله لا طاقة لعسكر الانكليز على المقاومة بعدُ فعدلوا الى رأيٍ آخر وهو ان يستولوا على قرية (بيجارو) التي كانوا يتمدرون منها اقواتهم فارسلوا (ميجار شتوين) مع عددٍ وافر من العسكر فوجد الافغانيين قد سبقوهم الى استيلائهم فقتلوا هناك حينًا وكانت الدائرة على الانكليز وكانوا

على اعقابهم خائبين وقد جرح كثير من ضباطهم
وفي الثاني والعشرين من شعبان قدم (محمد اكبر خان) من (باميان) الى كابل وتواطأ مع الافاغنة على كلمة واحدة وفي ذلك اليوم بعينه اجمع الانكليز رأياً على الاستيلاء على قلعة (ميجارو) فامر الوزير المختار (شلتان) بالمسير اليها فسار هو (وميجارشتوبن) و(ميجار قارش) في افواج من العساكر حتى بلغوا محلاً مشرفاً على تلك القلعة وكان معهم مدفع واحد ليس غير ولم يكن في القلعة سوى اربعين رجلاً ثم ان (شيلتان) ندب (ميجارشتوبن) و(ميجار قارش) الى الهجوم على القلعة فسارا في طريق غير مسلوك فأُوقع بهم هناك حتى قتل منهم جماعة وجُرح (ميجارشتوبن) واذ رأى (شيلتان) تلك النازلة امر (ميجارقارش) ومئة من المهندسين ان يسارعوا الى وضع استحكام يقيهم من بلاء العدو فقبل ان يتمموا وضعه ابصروا عشرة آلاف رجل من اهل كابل على جبل مشرف عليهم بحيث يصلهم رصاصهم ففي الحال امر (كولونيل اوليور) ان تتأهب تلك العساكر وتنتظم على شكل قلعة ويصطف الخيالة من خلفهم ويهجم الجميع بهذا الانتظام على الافغانيين المذكورين فعاجلهم خيالة الافاغنة بالهجوم على ميمنتهم وحاصروا (ليفتينيسنت واكر) وجُرح من الافغانيين احد عظمائهم ثم عمموا الهجوم عليهم من ثلاثة جوانب فضايقوهم وفتكوا بهم فتكاً ذريعاً فطلبوا الى الفرار سبيلاً اذ ان خيالتهم قد جبنوا عن الهجوم حينما امرهم به القائد ورجعوا القهقرى فاستولى الافغانيون على مدفعهم وذخائرهم واختاروا العودَ الى البلد نظراً لكون احد عظمائهم المذكور اصبح جريحاً فاختلس الانكليز هذه الفرصة واسرعوا الى الجبل فاسترجعوا مدفعهم واطلقوه على ظهور الافغانيين فانقلبوا عليهم وهاجموا مهاجمة الغيظ والحنق فتبدد شمل الانكليز وتفرقوا وولّى من بقي منهم الادبار فرداً فرداً وما برح الافغانيون يطاردونهم

حتى اوصلوهم معسكرهم العمومي ولم يصدهم عنهم الأجدران الاستحكام ولما اشتدّ على الانكليز الكرب وعظم بهم الخطب جنحوا للسلم فارسل الوزير المختار الى الافغانيين رسولاً يدعوهم مستعطفاً الى المسالمة فقالوا نجيبكم على شرط ان لا يلبث في بلادنا من جنس الانكليز ولا واحد ثم اقترحوا عليهم ايضاً اموراً لم يجد الوزير المختار سبيلاً الى قبولها وكبر عليه الرضاء بها فقام من مجلس رسل الافغانيين وهو يقول ان يوم القيامة لقريب وسيجمعنا الميعاد ويتبين الظالم من المظلوم ويتميز الحق من الباطل ثم بعد ذلك وقعت بينهم مناوشاتٌ استردّ الافغانيون فيها قلعةَ (محمد شريف) في السادس من رمضان فضاقت الانكليز ذرعاً ورأت ان لا محيص من المسالمة طوعاً او كرهاً فكتب الوزير المختار سجلاً ينطوي على معاهدة بينهُ وبين الافغان ووقع عليه هو و(شلتان) و(دنيكتل) و(جمبرنر) وفي الحادي عشر من رمضان خرج هذا الوزير مع (كبتان لارنس) و(ترذر) و(مكنيزي) وعدد من رجاله الى قرب جبل (سياه سنك) وعقد هناك مجلساً مع جماعة من اكابر الافغانيين ثم قام فيهم وقال مستميلاً عواطفهم اليه ايها معشر الانكليز طالما عززنا الامير (دوست محمد خان) ورفعنا شأنه واكرمنا مثواه في كل مكان ثم ابرز السجل وعرضه على المجلس وكان مضمونه: على الانكليز ان تخلي قندهار وقزنه وكابل وجلال اباد وسائر البلاد الافغانية على شرط ان يعطيها الافغانيون رجلاً من اكابرهم رهناً حتى تخرج من تلك البلاد بسلام واذا وصل العساكر الانكليزية الى الهند بادروا بارسال الامير (دوست محمد خان) وعلى الافغانيين ان يرتبوا لشاه شجاع (لك ربيه) يأخذها سنوياً اينما كان سواء اقام في افغانستان او خرج منها وعلى الانكليز ان لا تدخل عساكرهم في بلاد الافغان الا برضى اهلها . . .
ولما رفع هذا السجل الى (محمد اكبر خان) فبعد الجرح

والتعديل فيه قرر انه يجب على الانكليز ان تخلي سائر البلاد والقلاع في مدة ثلاثة ايام وهو يجري عليهم فيها الميرة والمؤونة فشرعت الانكليز على عجل بنقل العساكر من (بالاحصار) واخلاء القلاع مع ذل ومسكنة لا مزيد عليهما على ان (محمد اكبر خان) لم يوفِ بوعده متعللاً بانه لا تطيب نفسه باجراء المؤونة عليهم ما لم يخلوا القلاع بالمرة . وفي الثامن عشر من رمضان نزل الثلج عليهم فتضاعفت مصيبتهم فاضطروا لاخلاء (قزنه) واستحضار عساكرهم ... وفي العشرين من رمضان عقد الوزير المختار مجلساً مع الافغانيين لحسم الامر فطلبوا منه ان يعطيهم نصف ما مع العساكر الانكليزية من المدافع والجبخانه فدان لطلبهم رغما ورضي به عجزًا بل زاده انه سلمهم (كابتان كيلي) و(كابتان ابرى) رهنًا على وفائه بما طلب منه ... وفي الثاني والعشرين منه جاء (ميستر اسكنبر) الذي كان اسيرًا عند محمد اكبر خان الى الوزير المختار واخبره ان محمد اكبر خان يبتغي منه امرًا عسيرًا فارتبك وانعقد لسانه ثم قال وهو انه يريد ان نسير اليه انت ووجوه ضباط العساكر لينصم معكم الامر مرة واحدة فلما وعى ما سمع لم يجد بدا من الطاعة لكنه خشي عاقبة الغدر فنادى في العساكر بالتأهب والاستعداد خارج الاستحكام ثم سار هو ورؤساء العساكر الى تل حيث ينتظرون قدوم محمد اكبر خان فلم يلبث ان حضر مع بعض من خوانين افغان واخذ يناوض الوزير المختار وكل من الخوانين كان يناوض رئيسًا ممن معه من ضباط العساكر ثم اخذت خيالة الافغان تتوارد عليهم فرادى فرادى ومثنى مثنى وعما قليل صرخ محمد اكبر خان على قومه بان يبطش كل منهم بمن يناوضه ففعلوا اما الوزير المختار فقد قطعت يده وجرّ وهو يستجير ويستغيث ويصيح واويلاه واغوثاه ثم جزوا رأسه وطافوا به في ازقة كابل وصلبوا (ترواز) على قارعة طريقها واما (لفتنست ابري) وهو الذي روى خبر هذه الواقعة وابان فيما كتب سخافة عقول الانكليز وجبن قلوب امرائها وضعف ارائهم فقد وقع اسيرًا في يد محيي الدين الافغاني ثم هو مثله بين يدي محمد اكبر فنظر اليه بعين يتقاطر منها الغضب وخاطبه بقوله أكنتم طامعين ايها الانكليز في بلادنا ارأيتم ما حل بكم جزاء عقابًا لكني عفوت عنك فليس لي بقتلك حاجة ثم وكل امر حفظه الى (ملاّ مؤمن)

ثم ان (ميجر بتنجر) الذي خلف الوزير المختار المسمى (سير واليم) همّ بافتتاح امر الصلح ثانيًا مع الافغانيين فقالوا نجيبك على شروط الاول ان تترك العساكر لنا مدافعهم ولا يبقى لهم سوى ستة الثاني ان تسلم لنا الاموال والادوات والاثقال المتعلقة بالخزينة الثالث ان تعطينا جماعة من كبراء الانكليز باولادهم وزوجاتهم رهنًا الرابع ان توفي بما كان الوزير المختار وعدنا به من اعطائنا اربعة عشر لكًا من الروبية . فلما سمع هذه الشروط ورأى ان المقام مقام لا تروج فيه الحيل الثعلبية التي تعودها الانكليز بل هو مقام الطعن والضرب ومجال السيف والرمح لم يجد له محيصًا من قبولها وان كانت شاقة ولا ترضى بها نفس حرة . نعم ان الجنرال (الفنستون) اراد ان يظهر الشمم والحماسة فانتفخ انتفاخ الهرّ لكن انتفاخه لم يؤثر في دم الانكليز من الحرارة اثرًا بل تواطأ امراء العساكر في التاسع والعشرين من رمضان على اعطاء (كابتان درمند) و(كابتان وانس) و(كابتان واربرتن) و(كابتان دب) مع نسائهم واولادهم رهنًا ثم جعلوا المجروحين في منزل احد الافغانيين وتركوا معهم بعض الاطباء وسلموا الافغانيين خمسة من المدافع السلطانية ... وفي اليوم السادس من شوال جهزوا للرحيل وساروا بتسعة مدافع واثنى عشر الف جمل تحملهم رجالاً ونساء واطفالاً وفي خلفهم العساكر المشاة يسيرون على ارجلهم فوصلوا الى نهر يلزمهم اجتيازه وليس عليه قنطرة فبعد اهوال واوجال وموت كثير

يليهم اجتيازه وقطعوا مسافة .. الى ان وصلوا الى (بكرلون) على ان الافغانيين لم يتركوهم وبلائهم بل قفوا اثرهم كالذئاب الجائعة ينهشونهم ويسلخونهم حتى اخذوا منهم مدفعاً لمغرا وقدموه الى محمد اكبر خان . . . ثم ان محمد اكبر خان عاد وشرط عليهم ان يسلموه ستة اشخاص ايضاً من كبرائهم فاجلبوه وعاهدوه على ان لا يطلقوا بندقية واحدة ولا يشهروا سلاحاً على افغاني بشرط ان لا يتعرضوا اليهم بالايذاء ولا الى اتواجهم بالنهب والسلب ووصلوا بعد مزمن قصير مصحوبين بهذه الذلة والمسكنة الى (بت خاك) وفي اليوم الثامن من شوال اعاد الافغانيون اطلاق الرصاص عليهم فهم (ميجرشتوين) بان يدافع فلم يقو . . . ثم طلب محمد اكبر خان منهم جماعة اخرى رهناً فوق من اخذهم فسلموا حتى سلموا ووصلوا الى الطريق الموصل الى (خورد كابل) وهو عبارة عن شعب يمتد بضعة اميال طولاً والمسلك الذي يجب اجتيازه هنالك واقع في سفح جبل يكتنفه من احد جانبيه نهر ينحط عنه بستين ذراعاً وقمة الجبل من الجانب الاخر فادركهم هناك الافغانيون وحاصروهم واخذوا منهم مدفعاً ولما يصلوا الى قرية (خورد كابل) حتى قتل منهم ثلاثة الاف شخص وسلبوا جل ذخائرهم . . . وفي التاسع من شوال اليوم الذي كانت الاحياء فيه تحسد الاموات جاءهم وهم يريدون الرحيل خبر من عند محمد اكبر خان وهو انه التزم صيانة النساء والاطفال والجرحى فدخلهم بعض الاطمئنان من هذا الخبر . . . وفي اليوم العاشر منه فاجأهم الافغانيون وهم على اهبة المسير واحاطوا بهم فسدوا عليهم المسالك ووضعوا فيهم السيف ولم تستطع الانكليز حراكاً بل كانت عساكرهم الهندية تبغي بالاختباء وتطلب الفرار ولكن لا تجد سبيلاً ولا منقذاً من داهية المنايا ولم ينته بهم السير الى (قبر جبار) الا وقد استأصلهم السيف وسلبت امتعتهم واموالهم وذخائرهم ولم تبق معهم من بقي منهم سوى مدفع واحد وقد غص معبر (هفت كتل) بجثث القتلى

وبالجملة فقد قتل من عساكرهم المنتظمة خاصة من يوم خروجهم الى وصولهم الى (كنتر سنك) اثنى عشر الفاً اما عدد من قتل من العساكر غير المنتظمة فعلمه عند الله وفي ليلة بلوغهم الى (كنتر سنك) اسرت جماعة منهم وسلب المدفع الذي كان باقياً معهم . . . وفي اليوم الحادي عشر خرجوا من (كنتر سنك) الى (جكدلي) فوصلوها وقت العصر واذ ذاك قاموا على تل واصطفوا عليه واظهروا الجلادة ارهاباً للافغانيين فغضب من ذلك الافغانيون واشرفوا على مرتفعات هنالك واطلقوا عليهم المدافع والبنادق . . ثم ان محمد اكبر خان طلب (اسكينز) وقال له لا بد لكم ان تعطوني ايضاً (شيلتان) و (جان سن) رهناً وفي اثناء المكالمة اطلقت على (اسكينز) رصاصة من حيث لا يعلم فمات فلما رأى الانكليز ذلك بادروا بالمسير قاصدين (جلال اباد) فابتدرهم الافغانيون بالسيوف من سائر الاطراف وكان عدد القتلى في هذا الموقع اكثر مما هو في (خورد كابل) وفي صبيحة الثالث عشر من شوال رأى الافغانيون ان قد قل عدد رجال الانكليز فطافوا بهم فقتلوا بعضاً واسروا بعضاً اخر ولم ينج من يد الافغان الا (دكتر بريدون) ففر ولحق بجلال اباد واخبر رأساً الانكليز بالواقعة

(كأن الافغانيين علموا ان لوث حيل المحتال ودرن مكره واوساخ خداعه لا يطهرها الا دمه المهراق وان عين الطامعين لا يملأها الا تراب القبور فاراقوا دماء الانكليز وجعلوا شعاب جبالهم قبوراً لقتلاهم واذاقوهم مرارة نقض العهود)

وعاد محمد اكبر خان بالاسراء من الضباط والنساء والاطفال والجرحى الى كابل وهذا ما انتهى اليه حال جيش كابل الانكليزي واما الجيش الانكليزي الذي كان في مدينة (قريه) فقد اصيب بما اصيب به الجيش الاول فهلك بعض من الجوع والبرد وقتل بعض بحد

سيف الافغانيين واسر الباقي وسكنوا في الاسر شهوراً ثم ارسلوا الى كابل فاستقبلهم محمد اكبر خان واكرم مثواهم واجتمعوا هناك (بميجر بتنجر) وبعد هذه الواقعة رد محمد اكبر خان للضباط سيوفهم ومنحهم بعضاً من الدنانير وكان يعطف على النساء ويتلطف بالاولاد

ثم اتفق انه قتل (شجاع الدولة خان الباركزائي) شاه شجاعاً فحصل الهرج والمرج بين الافغانيين وتحزبوا احزاباً وتفرقت كلمتهم وتنازعوا الملك وتقاسمه امراؤهم فعسكر محمد اكبر خان خارج المدينة وانضم اليه (فتح جنك) ابن شاه شجاع

وفي اثناء هذه الفتن قدم الجيش الانكليزي الذي كان متحصناً زمن الشتاء في قندهار الى كابل وانضم اليه بعض من المدد ووقع بينه وبين محمد اكبر خان بعض مناوشات وآل الامر بعدها الى المسالمة واطلق سبيل اسرى الانكليز وتعهد الجنرال (بولوك) بارسال الامير دوست محمد خان وعائلته الى افغان ولما رأت العساكر الانكليزية الموصوفة باللوم تفرق كلمة الافغانيين وتشتتهم وعدم وجود من يضارعهم في المقاومة والمغالبة تطاولوا على البلاد واحرقوا (جهارجته) السوق الشهيرة الموجودة من عهد (اورنك زيب) التيموري سلطان الهند وكانت من ابدع الابنية وفيها عقود متتالية يبلغ طولها ستمائة قدم وعرضها ثلاثين قدماً وكان على جدرانها النقوش المزخرفة والتصاوير الانيقة وقد علق الافغانيون فيها جثة الوزير المختار (سير وليم) وزحفوا على قرية (استالف) وقتلوا من بها من الرجال والنساء صغيراً وكبيراً صحيحاً وجريحاً واعتصم محمد اكبر خان واهل مدينة كابل بالجبال وقتئذ ولما انتقمت العساكر الانكليزية من الافغانيين على زعمهم قفلوا الى الهند مسرعين فراراً مما عساه ان ينزل بهم

(والجملة ان طمع شاه شجاع في السلطنة قد ساقه الى البحث عن حتفه بظلفه وان حرص انكلترة على تملك بلاد الافغان وشغفها بها اوجب ان تكون مساكنها فيها قبور اجسامها وان صيانة الافغانيين لحرمى الانكليز ونسائهم واولادهم وان قتل الانكليز لنساء قرية (استالف) واولادها ومرضاها قد ابان للعالم السجايا البشرية الغير المكتسبة التي لم يدنسها طول المكث في الجبال والاودية والطبائع الخبيثة التي لم تهذبها العلوم والمعارف ولم يطهرها زلال التربية) ثم اطلقت الانكليز الامير (دوست محمد خان) من الاسر فرجع الى (كابل) واستولى عليها وعلى (جلال اباد) وما يجاورها من البلاد . . . واما (كهندل خان) اخو دوست محمد الذي بينا سابقاً انه قد التجأ مع اخوته الى شاه ايران فانه لما سمع ان العساكر الانكليزية قد اخلت مدينة قندهار جهز جيشاً صغيراً باعانة الشاه وسار به الى قندهار وبعد مناوشات يسيرة وقعت بينه وبين بعض من السدوزائية دخلها وتم نفوذه في اقطارها وقد وقع بينه وبين الامير دوست محمد خان محاربات كانت الغلبة فيها للامير وساق ايضاً عساكره الى هراة ولكن رجع خائباً

وبعد بضع سنين من امارة الامير هجم (رنجيت سنك) بعساكره على مدينة (بيشاور) وكانت الحرب بينهما سجالاً ولما طال زمن المحاربة وقتل من الطرفين عددٌ كثير ورأت الانكليز ان دخول (بيشاور) التي هي مفتاح (بنجاب) تحت سلطة الافغانيين يوجب استفحال امر الامير ويورث الخلل في الممالك الهندية الانكليزية اسرعت الى المصالحة بينهما على شرط ان تكون تلك المدينة بيد (رنجيت سنك) الوثني فكأن امة الانكليز بفعلها هذا لم تقصد سد طرق الخلل عن بلادها فقط بل ارادت ان تهيئ سبل استيلائها عليها علماً منها بان الامارة (السيكية) التي شكلها رنجيت سنك واهية الاساس وقد تم لها ما ارادت حيث استولت عليها بعد المصالحة بزمن يسير . . . واثر هذه الوقائع اتفق موت كهندل خان المذكور ووقعت المنازعة بين اخوته وابنائه في الملك وآل الامر الى المقاتلة وسفك الدماء ووقع الهرج والمرج

في المدينة فاتفقوا جميعاً على جعل دوست محمد خان حكماً بينهم فسار بعسكره الى قندهار حين بلغه ذلك واستولى عليها وعين لكل من الحاكمين مرتباً شهرياً سداً لشرهم وكفاً لشرهم وتمت له بذلك السلطة في غالب البلاد الافغانية وكان قد ارسل ابنه (محمد اكرم) الى الاقطار البلخية التي نبذ اهلها طاعة الافغانيين عند استيلاء الانكليز على البلاد واستقلوا بامرهم فادخلهم تحت الطاعة ولم يبق تحت سلطة غيره من المدن الافغانية الاصلية الا مدينة هراة التي بينا سابقاً كونها في قبضة (كامران) ذلك البطل الذي قاوم العساكر الايرانيين بغاية الثبات والحزم عشرين شهراً مع قلة عدده وعدده ثم غلبت عليه الشهوة واستولى عليه الهوى وانهمك في السكر حتى نفرت منه قلوب الناس ولعب به وزيره (يار محمد خان البامي زائي) وخنقه في قرية خارج المدينة واستولى على الملك وانقرض بموت هذا سلطة العائلة السدوزائية من البلاد الافغانية (وبالجملة ان ما اكتسبه احمد شاه السدوزائي من الممالك الواسعة والسلطة التامة بسبب الشجاعة والتدبير والعدالة والاقتصاد في المعيشة قد اضاعه ابناؤه واحفاده بالجبن والسفه والجور والترف والانهماك في الشهوات) وكان هذا الوزير على الدوام يرسل الى شاه ايران ويحتمي بحمايته صيانة لبلاده من سلطة سائر الامراء الافغانيين وخلفه بعد موته ابنه (صيد محمد خان) باعانة الشاه وكان هذا الخلف سفيهاً سيئ الخلق قسي القلب ظالماً جائراً فامتلأت قلوب الاهالي منه غيظاً واثاروا الفتنة عليه فطلبوا (شاه زاده يوسف السدوزائي) الذي كان وقتئذ في مدينة (مشهد) والتمسوا من الشاه ان يجهزه ويرسله ففعل ودخل مدينة هراة بجيش من الايرانيين بلا مانع واهلك (صيد محمد خان)

ثم وقع في هراة بعض من الفتن فاغتنم (ناصر الدين شاه) فرصة الاستيلاء عليها فارسل جيشاً جراراً سنة ١٢٧٤ تحت رئاسة (سلطان مراد ميرزا) اليها وبعد محاصرتها اياماً تم له فتحها ودخل قطر هراة تحت حكم ايران .... فاستشاطت الانكليز من هذا الفتح غيظاً علماً منها ان مدينة هراة مفتاح الاقطار الهندية وبابها فارسلت مراكبها بدون مهلة الى خليج فارس واستولت على (بندر ابو اشهر) وجزيرة (خارق) وبلدة (محمره) ارهاباً للشاه وسداً للخلل المزمع وقوعه وتسكيناً للثورة التي فشت في الهند عند ما شاع فيها توجه العساكر الايرانية نحو البلاد الافغانية وبعد مضي سنة من هذه الواقعة وقعت المصالحة بينهما وتركت الانكليز الفرض الايرانية على شرط ان يخصص الشاه رجلاً افغانياً ليكون حاكماً على هراة ويسحب عساكره منها فعين الشاه (سلطان احمد خان) ابن عم الامير وصهره والياً على هراة باستصواب الانكليز وشرط عليه ان يضرب السكة ويقراء الخطبة باسمه ومع ذلك ما سكن روع الانكليز فاغرت الامير (دوست محمد خان) بعد بضع سنين باخذ مدينة هراة وتعهدت بان تعطي له ولمن يخلفه مرتباً معلوماً سنوياً كافياً لتجنيد العساكر وتحصين القلاع لتكون الامارة الافغانية سداً منيعاً بين الهند وبين الممالك الروسية في اسيا الوسطى وايران فجند الامير جيشاً وسار به الى هراة وحاصرها زمناً طويلا وكان عساكر الطرفين بين مهاجمة ومدافعة وقد اتفق موت (سلطان احمد خان) داخل القلعة وبعد موته بزمن يسير مات الامير ايضاً في معسكره ثم امر رؤساء العساكر المحاصرين بالهجوم وبعد هجمات متعددة سنة ١٢٨٠ فتحت عنوة .... وكان الامير (دوست محمد خان) هذا عاقلاً ذا دهاء لين العريكة غير مائل الى الظلم والجور وقد استمال بحسن سلوكه قلوب اخوته حتى خضعوا له مع ان منهم من كان اكبر منه سناً واسس بحكمته وتدبيره ملكا .. وكان له ابناء متعددة وقد جعل ارشدهم واعقلهم (محمد اكبر خان) الذي خلص

البلاد الافغانية من مخالب طمع الانكليز ولي العهد وحيث توفي في زمن حياته اولى شقيقه (شير علي خان) تلك الرتبة (ولقد راعى الامير حقوق محمد اكبر الذي له منة عليه خصوصاً وعلى الافغانيين عموماً بايثار شقيقه غير انه لم يراع حقوق سائر الناس ولم يلاحظ ما يترتب على ذلك من المضار فان بعض اخوة (شير علي خان) كانوا اكبر منه سناً فلم يرضوا بالخضوع له فاثاروا الفتن ولزم منها اراقة الدماء وخراب البلاد ونهب الاموال) وقد جعل على كل ولاية من ولايات الافغان واحداً من ابنائه (ولقد اخطأ الامير خطاء الحربتولية اولاده على البلاد لان البلاد الافغانية ليست بلاداً قانونية فكأنه يفعله هذا قد حكمهم من الفتن والعصيان)

ولما توفي الامير حين محاصرته لهراة كما ذكرنا كان في المعسكر من ابنائه (شير علي خان) ولي العهد و(محمد اعظم خان) و(محمد امين خان) و(محمد اسلم خان) وكان لشير علي وزير خائن يسمى (بمحمد رفيق) من طائفة الغلجائي قد اشار عليه بالقبض على اخوته قائلاً لا تتم لك السلطة ما داموا ولاة مطلقي التصرف خصوصاً الذين هم اكبر منك سناً فشاع هذا الخبر وبلغ مسامع من كان منهم في المعسكر فهرب كل منهم ليلاً وبادر الى البلاد التي كان والياً عليها في زمن ابيه ... واما (شير علي خان) فبعد ما علم بهروبهم عجل في تنظيم مدينة هراة وجعل ابنه (محمد يعقوب خان) والياً عليها واخذ طريق (بلخ) من دون ان يتعرض للبلاد التي استولى عليها اخوته الذين هربوا من المعسكر او يظهر لهم غضباً قصد ان يخدع اخاه الاكبر (محمد افضل خان) الذي كان ذا وجاهة عند الناس وكانت قوته العسكرية اشد من سائر الاخوة ويقبض عليه .. فلما وصل الى حدود (بلخ) ارسل رقيا يذكر فيه مخاطباً اياه انك انت الاخ الاكبر فيجب عليك ان تجتهد في اصلاح البلاد ورفع الفساد وجمع كلمة الاخوة واما انا فانتبهك ان لا انبذ امرك ولن لا اخالف نصائحك ولن لا اخرج من ربقة طاعتك ..

ولما اطلع محمد افضل خان على مضمون ذلك الرقيم انخدع وسار بنفسه اليه فلما تمكن منه شير علي قبض عليه وهرب ابنه عبد الرحمن خان وقصد الى (بخارى) ودخلت ولاية (بلخ) تحت قبضة جهل احد اخوته المسمى (بفيض محمد خان) والياً عليها ورجع الى كابل ثم جند عسكراً وارسله الى (كرم) تحت رئاسة وزيره (محمد رفيق) لمحاربة (محمد اعظم) فانهزم محمد اعظم شقيق محمد افضل من اول واقعة وفر الى الهند ..

وبعد ان فرغ من امرهما جعل ابنه (ابراهيم خان) الضعيف الرأي حاكماً على مدينة كابل وذهب بنفسه الى قندهار لان يقبض على شقيقه (محمد امين خان) وعند وصوله الى (كلات الغلجائي) استقبله هناك شقيقه بعساكره فوقعت مناضلة بينهما قتل فيها ابنه (محمد علي) وشقيقه (محمد امين) المذكور .... واثر هذه الواقعة قد استولت الوساوس على شير علي وغلبت عليه الهموم والغموم فترك اشغال الحكومة وادارة العساكر وانزوى في مدينة قندهار ... ولما بلغ مسامع عبد الرحمن خان تغير حاله وانزواؤه تحرك من (بخارى) الى البلاد البلخية واستولى عليها بعد مناوشات جزئية باعانة (فيض محمد خان) وكان (محمد اعظم خان) المذكور الذي ترك البلاد الهندية لسوء معاملة الانكليز قد انضم الى عبد الرحمن في (بلخ) فاستفحل امرهما وجمعا جيشاً جراراً وزحفا الى مدينة (كابل) وقبل الوصول اليها وقعت محاربة بين عساكرهما وعساكر (ابراهيم خان) ابن شير علي في (باج كاه) فانهزمت عساكره فترك كابل خوفاً وجبناً وفر الى قندهار وكان وقتئذ وزير (شير علي خان) (محمد رفيق خان) في كابل فخرج يستقبلهما بغاية البشاشة فدخلوا المدينة امنين مستبشرين ثم ارسل سرية الى جلال (اباد) فافتتحوها .... ولما اشتد

الحطب وعظم الامر عليه (شير علي خان) من يوم الهملة وأفاق من غشية الحزن فجدد جيوشه وسار بها الى كابل وعند ما اجتاز (غزنه) قابله محمد اعظم وعبد الرحمن بعسكر جرار في (شيخ أباد) فاشتعلت نيران الحرب بينهما وكانت الغلبة لمحمد اعظم فانهزم شير علي ورجع الى قندهار ودخل محمد اعظم مدينة (قزنه) وكان شقيقه محمد افضل المشار اليه سابقا محبوسًا فيها فاطلقه وسلم عليه هو وجميع العساكر بالامارة ... ولما تمت لهم هذه الغلبة ودخلوا الى كابل رأى محمد اعظم ان (محمد رفيق خان) يسعى في اثارة الفتن والقاء الشقاق بين الخوانين والامراء فلم يحبه جزاء لخيانته السابقة وخياناته لسيده وتركه له وسعيه في الفساد اخيرًا

ثم جمع محمد اعظم عساكره وسار بها الى قندهار فتلاقى مع الامير شير علي خان في (كلات الغلجائي) فتصادم الجيشان وتقاتلا واظهر شير علي خان في تلك الواقعة غاية البسالة والشجاعة غير ان قوة قلبه ما استوجبت ثبات اقدام عساكره الذين غلب عليهم الجبن والخوف بسبب الانهزامات المتتالية فاضطر الى ترك قندهار والذهاب الى هراة وبعد بضعة اشهر ذهب بفرقة من الخيالة الى (بلخ) وجمع كثيرًا من مقاتلي (الازبك) والافغانيين وزحف الى كابل من طريق (قوهستان) الوعرة مصحوبًا بفيض محمد خان فقابله عبد الرحمن خان في (بنج شير) فتقاتل الجيشان فقتل فيض محمد خان (كأن اقباله وادباره ووفاقه ونفاقه كانت دواعي الموت وسكراته) وانهزم شير علي تاركًا مدافعه فوق الجبال واسرع الى (بلخ) ومنها الى هراة علمًا منه بان عبد الرحمن سيتبعه بعساكره ويقع بها .... وتوفي اثر هذه الواقعة (محمد افضل خان) في كابل وكان رجلاً محبًا للعلم والعلماء كارهًا للظلم والجور فخلفه شقيقه (محمد اعظم خان) وبعد ان استقر على منصة الامارة ارسل ابن اخيه المتوفي عبد الرحمن خان الى (بلخ) وجعله

واليًا عليها وعززه (باسماعيل خان) ابن محمد امين خان المقتول ليقدر على اطفاء الفتن التي حصلت هناك بين الازبك والافغانيين ونصب ابنه (محمد سرور خان) واليًا على قندهار وجعل ابنه الاخر المسمى بعبد العزيز خان الذي كان عمره اذ ذاك ستة عشر سنة رئيسًا على العساكر الموجودة فيها ... وهذا الرئيس الشاب قد ساقه الغرور وحب التطور الى جمع العساكر وسوقها الى هراة من دون علم ابيه وعند وصوله الى قرية (كرشك) صادمه (محمد يعقوب خان) ابن شير علي بعساكره فهجم بالشبان الرئيسي دفعة واحدة باثنين من المشاة على قلب عسكر الخصم واستولى على مدفع وجلس عليه بعد ان قتل طبجيه فلما نظر جيش محمد يعقوب عدم وصول المدد له احاطوا به واخذوه اسيرًا فتشتتت عساكره وانهزمت كما هي عادة عساكر الشرقيين عند فقد رئيسهم فاسرع محمد يعقوب بعساكره الى مدينة قندهار واستولى عليها حيث لم يجد من يدافع عنها فقوي قلب شير علي خان لهذه الغلبة ووجد فيه العزم والارادة وقصد تلك المدينة بخيالة (الجمشيدي) و(فيروزكوهي) وجمع منها العساكر المتفرقة واسرع مع ابنه الى كابل فتقابل مع محمد اعظم خان في وادي (مكر) على بعد ستة فراسخ من (قزنه) وانشأ كل من العسكرين استحكامات وحفروا خنادق وكان محمد اعظم عند سماعه بزحف شير علي قد ارسل الى (بلخ) يطلب اسماعيل خان الخائن علمًا منه بانه الخصم الالد لشير علي لانه قتل اباه واهانه غاية الاهانة فجاء بعسكر بلخ وتوقف في (قوهستان) الى ان تقابل العسكران في (مكر) فهجم على مدينة كابل وفتحها ونادى فيها باسم شير علي خان ظنًا منه بانه سيجعله مكان ابيه واليًا على قندهار ... وعند وصول هذا الخبر الى عساكر محمد اعظم غلب اليأس عليهم وحصل فيهم التنور وتفرقت كلمتهم وتشتتت اراؤهم لانهم قد رأوا انفسهم بين عسكرين وعلموا انه

لا يمكن وصول الزاد اليهم فعلم محمد أعظم انه لا يجوز الاعتماد على هؤلاء العساكر الذين غلب عليهم الجبن واستولى عليهم الفتور والخوف خصوصاً لما رأى جراءة خيالة (الجمشدى) وهجومهم على اطراف المعسكر على الدوام ففر الى (بلخ) واجتمع بابن اخيه عبد الرحمن ودخل شير علي خان مدينة كابل بعد ان فارقها زماناً طويلاً واستقبله اهلها بكل بشاشة وسرور لانه كان محبوباً لدى الناس لسماحة اخلاقه وعدم ميله الى الظلم بالطبع ... ثم ان محمد اعظم وعبد الرحمن بذلا غاية الجهد في جمع العساكر من الاوبك والافغان وذهبا الى قزنه من طريق (هزاره) فبارزهما شير علي وبعد مقاتلات شديدة انهزمت عساكر محمد اعظم وعبد الرحمن وهربا الى مدينة (مشهد) من بلاد ايران وانفصل عبد الرحمن عن عمه في تلك المدينة وذهب الى (بخارى) واقام بمدينة (سمرقند) وهو الان بها وتوفي محمد اعظم بمدينة (نيسابور) حين ذهابه الى (طهران) وكان عاقلاً مدبراً محباً للعدل ولكن احوجته الضرورات والحوادث الكونية الى الجور والظلم واما ايتاره ولده الشاب الذي كان في الحقيقة سبباً لحبته وزوال ملكه بجعله اياه رئيساً لجيوش قندهار فقد كان لعدم اعتماده على سرداري الافغان وخوانينهم لانه قد تمكن منهم سوء الاخلاق بحيث انهم ما كانوا يعدون الخيانة رذيلة ولا يستنكفون من ارتكاب العار لان ... في خلال هذه ... انتقل من الحزبين المتحاربين اريد من عشرين مرة وكان منفذاً ... الصورية ... وجود .... وبالجملة لما ... السلطنة في سنة ١٢٨٥ الامير (شير علي خان) ... الى مدينة (...) ... معاهدة العرقوبية السابقة ... في الحقيقة عبارة عن تمويهات ومجاملات ولما

رجع من اسماعيل جان الخائن واخوته ... ابيه البطل محمد يعقوب خان من ولاية ... اخاه عبدالله جان ولي عهده مع صغر سنه ... (ولبئست الشهوة التي تعمي البصائر وتضل العقول عن الرشاد) واما محمد يعقوب خان ... ذهب الى هرات واظهر العصيان بها ولكن لم تمتد مدة ... العصيان ... مع غلبته على عساكر ابيه لبى دعوته ... دعاه الى كابل والامير بدلاً عن ان يجامله اودعه الحبس ومع هذا كله فلم ينل الامير بغيته لان الموت قد اخترم ولي عهده الجديد واتفق ان السلطان العثماني عبد الحميد خان ارسل سنة ١٢٩٤ رسولاً الى كابل ليدعوه للاتحاد معه ولما لاحظ الامير عدم اكتراث العثمانيين بسائر المسلمين ولو مزقتهم الحوادث الكونية كل ممزق وقت ان كان لهم الكلمة العليا والعود العام علم ان هذه الرسالة انما هي لمنافعهم الخصوصية فكذّب امالهم ورد سفيرهم خائباً وفي سنة ١٢٩٥ علت الوساوس والاوهام على رجال الانكليز حينما رأوا وفود السفارة الروسية على الامير فجهزوا سفارة مؤلفة من عدة مهندسين والف خيال وارسلوها الى الامارة الافغانية فأبى الامير الا منعها لانقطاعهم المرتب الذي تعهدوا بدفعه كل شهر من مدة سنين بلا سبب فاستشاطت الانكليز غيظاً وساقت العساكر الى البلاد الافغانية ظلماً وجوراً

الفصل الرابع

في بيان الشعوب المختلفة الساكنة في الاقطار المعبر عنها باسم افغانستان واخلاقهم وعاداتهم و ... وفي اصلاح كيفية حكومة في تلك البلاد

ان اعظم الشعوب المستوطنة لتلك الاقطار ... عدداً هو الجنس الافغاني ويقطن جنوب البلاد و ... الجنوبي منها والى ... في ...

والضغينة والتشوق للانتقام واقتحام المحاربات والتهوّر في المخاصات والمنازعات لادنى الاسباب وان صورهم الظاهرة تحكي خليقتهم هذه وتنبئ عنها فان وجوههم على الدوام عابسة وقلما يوجد بينهم البشوش وان كان يظهر في بعض معاملاتهم الحلم والتؤدة وكذلك خشونة لغتهم وغلظ اصواتهم يدلان على هذه الخليقة وعلى الفظاظة وغلظ الطباع ولهم ميل عظيم للنهب والسلب وشنّ الغارات واثارة الفتن وبما ارتكز في طباعهم من الشجاعة والاقدام والميل الطبيعي الى المحاربة ارشدتهم الطبيعة من قرون الى ترتيب نظامهم العسكري على هيئة تقرب من النظام الموجود في هذه الازمان وذلك انهم كانوا يصفون الصفوف ويحكمون ترتيبها ويقيمون الضباط ارباب الرتب العالية وارباب الرتب الدانية وعند سوق الجيوش للمحاربة كانت الضباط تتقدم العساكر لتقودهم حتى اذا اشتعلت نيران الحرب تأخرت الضباط وتقدمتهم العساكر للنزال والصدام واشتغلت الضباط بالاوامر والنواهي والنظر فيما يجب اجراؤه من الاقدام والاحجام والتيامن والتياسر والسير والتوقف وغير ذلك وكان من عادتهم انه اذا ولى احد العساكر فرارًا حكموا عليه بالقتل ومن ذلك ما وقع في واقعة اصفهان وهو ان ضابطًا همّ بقتل احد العساكر عند ما رآه متقهقرًا فاراه العسكري يده اليمنى مقطوعة تخلصًا من العقاب القانوني فعافاه الضابط من القتل الاّ انه لم يخلص من عتابه ولم يرضهِ هربه وتقهقره بل ارجعه الى المعسكر قائلاً يا مخنث ام تكن يدك اليسرى موجودة فان قطعت ايضًا فعندك اسنان تنهش بها اعداءك فاذهب وقاتل الاعداء الى اخر رمق من حياتك ومن وظائف الضباط زيادة عن الاوامر والنواهي المتعلقة بترتيب العساكر وحفظ نظامهم تفقد من يموت من العساكر في الميدان ليأتوا بهِ من ساحة القتال ويدفنوه كيلا تقع جثته تحت اهانة ايدي الاعداء الاّ من قتل منهزمًا فانهم لا يجوزون دفنه اصلاً

ولافراد العساكر الافغانية من الطاعة والانقياد لرؤسائهم ما لا يوجد في عساكر ملك من ملوك البلاد المتمدنة حتى انهم عند تفرقهم في البادية وتشتتهم بحيث لا يكون فرد منهم مع الاخر لو سمعوا نداء منادٍ يدعوهم الى ضابط او رئيس من رؤسائهم لهرعوا مهرولين جميعًا لاجابته والاجتماع حيث يأمرهم ولو نالوا طعامًا في المخمصة لتركوه ملبين داعيهم ولحسن طاعتهم اذا فتحوا بلدًا وامرهم امراؤهم بعدم التعرض لاهاليها لا يقع منهم ادنى شيء يخل بالراحة حتى لو مرّت عليهم النساء مكللات باكاليل الذهب لا يلتفتون اليهنّ واتفق انه وقع النزاع في اصفهان بين طائفتين من الافغانيين في اول جلوس اشرف على كرسي السلطنة وعظم الخلاف بينهما حتى اقتتلتا فقفل ارباب الحوانيت حوانيتهم خوفًا من حصول الهرج والمرج فجاء الامر من اشرف بفتح الحوانيت معلنًا ان من يصيبه خسارة فانا الكفيل بتعويضها وامتد القتال في المدينة ايامًا ولم يحصل ادنى ضرر للاهالي من المقاتلين . . . والجميع رجالهم تدرب تام في الطعن بالرماح والضرب بالسيوف ولهم خفة ونشاط في ركوب الخيل وفي الازمنة الاخيرة صارت لهم الدربة في اطلاق الرصاص ايضًا ومن زمن الامير (دوست محمد خان) شرعوا في ترتيب العسكرية على النظامات الجديدة وقد برعوا فيها عملاً لا علمًا وبلغ عدد عساكرهم المنظمة ستين الفًا

وان كثيرًا منهم وان كانوا قد مالوا الى الاقامة في المدن والقرى كاهالي (قندهار) و (غزنه) و (جلال اباد) وغيرها الاّ انهم كبقية اخوانهم الذين لم يزالوا في الخشونة حيث لم يأخذوا جانب الترف والرفاهة بل يسلكون في تعيشهم طرق التخشن والتقشف ويقنعون من اللذائذ باليسير حتى انهم ياكلون الضأن بجلده فانهم بعد ما يذبحونه يحرقون صوفه ثم يجففونه ويدخرونه للاكل ولا يتناولون الاطعمة بالملاعق ولا يضعون اواني الط

على الخوان بل يأكلون على الارض بايديهم وليس لهم عناية بتنظيف البستهم وابدانهم ولا يهتمون بنظافة مساكنهم وحجراتهم وتطهير مدنهم من الاوساخ ولذلك ترى المدن المسكونة بالكثير منهم لا تخلو من الاوساخ والقاذورات وكثيرًا ما تكون جيف الحيوانات في معسكرهم ولا يعتنون بابعادها من بينهم وغالب الجبليين واهل القرى منهم اذا أكل لا يغسل يديه بل يمسحها في لحيته او مداسه وبعض منهم اذا لبس لباسًا جديدًا يلطخ بعضه بالسمن خصوصًا عاتقيه اظهارًا لتأصله في الغنا وعدم مبالاته بالجديد وارادة لسنه .. وجميعهم سواء كانوا من سكان الاخبية او البوادي يلبسون من الالبسة خشنها فارباب البادية يصنعون ثيابهم من نوع اللباد على هيئة غريبة بكمين طويلين يشبهان خرطوم الفيل يصلان الى الارض ويسمى عندهم (كوسي) ولهم ايضًا ثوب اخر من هذا النوع الى الفخذين بكمين قصيرين يسمى (صدرية) وهولاء قلما يبدلون ثيابهم قبل البلاء وسكان المدن يصنعون ثيابهم من الجوخ الغليظ المعروف عندهم بـ (بركر) فيتخذون منه جبًا ضيقة الاكمام قصيرتها ويتقون باقبية من القماش الملون المعروف (بالشيت) وثيابهم في زمن الشتاء من جلود الحمل يبالغون في دبغها حتى تصير في اللين والنعومة كالحرير ويصبغونها بلون اصفر بهي ويرقشونها بطراز الحرير ثم يفصلون منها جبًا يتخذها العملة قصيرة تنتهي الى الركبتين بكمين الى المرفق وتسمى (بوستين جه) وارباب الصنائع والاوساط من الناس طويلة تبلغ الكعبين كسائر البستهم بكمين طويلين وتسمى (بوستين) وقد يتخذ الامراء من شيلان (الكشمير) جبًا ومن السمور والسنجاب فراء (كرك) وغالب الافغانيين يعتمون بعمامة زرقاء واما السردارون والعظماء فغالبًا يعتمون بشيلان الكشمير الوانًا وسكان البلاد الحارة يحتذون النعال ويتخذون صدريات ويلبسون اقمصة تنتهي الى نصف الساق واسعة الاكمام وغالبهم يحتزم باحزمة عريضة تشغل ما تحت الصدر الى الفخذين وغالب القبائل لا يحلقون رؤسهم وبعضهم يتخذون ظفيرة طويلة من شعورهم واما نساؤهم فانهن يلبسن البسة طويلة ويتمنطقن بمناطق تقرب من الثدي حتى يرى بارزًا وغالب نساء القبائل الساكنين في الجبال يقطعن شعور اذناب الخيول ويصلنها بشعورهن ونساء قبيلة الغلجائي يحبكن شعور نواصيهن ويشكلنها بشكل قرص ثم يسدلنه على الجبهة فيمتد الى الصدغين في العرض ويستر الانف طولاً كانما هو برقع مستدير ويعلقن في اذانهن حلقات غليظة ثقيلة من الفضة والحديد والنحاس والبلور . وامراء الافغان لا يجلسون على المنصات والكراسي بل يفرشون مجالسهم بالانماط والنمارق الفارسية وليس لهم من الابهة والعظمة ما لغيرهم من الامراء ولا يستنكفون عن تناول الطعام مع خدمهم والاداني من الناس

والجبليون منهم واهل البادية يحترفون برعي المواشي والانعام ويتعيشون منها وقليل من الزراعة وقل ما يوجد منهم التاجر الاّ في قبيلة لوهاني من الجبليين فان غالب هذه القبيلة من التجار ونشاطهم في التجارة على نمط غريب اذ يبلغون بامتعتهم محمولة على الجمال الى قرب الصين وبلاد سيبريا ويجيئون بها الى بلاد الاناضول ويطوفون الاقطار الهندية وهذه القبيلة تمتاز عن سائر القبائل بالبستها فان عمائمهم ذات زوايا اربع متقابلة واقبيتهم تشبه اقبية الارناطة وسكنة ازربيجان بانها ضيقة الاعالي واسعة الاسافل كثيرة التكاميش من الوسط

واما سكان المدن والقرى فيشتغلون بالزراعة وغرس الاشجار وانشاء البساتين والرياض وقلما يوجد فيهم ارباب الصناعة كالحدادة والنجارة والحياكة وما يشبهها ولا يشتغل منهم بالتجارة غالبًا الاّ اهالي قندهار فان لهم حرصًا على التجارة وغالب تجارهم من طلبة العلم . . . .

وليس للافغانيين دراية كافية بكيفية ادارة الحكومة

بضبط الدفاتر وما يشبه ذلك ولهذا نجد جميع هذه
الامور بايدي طائفة (قزل باش) الذين هم من بقايا
عساكر نادر شاه . . ولا يجوزون بيع الاسراء وان كانوا
خارجين عن دين الاسلام ويكرمون الغرباء . وابناء
السبيل ويستنكفون علناً السرقة وان كانوا يتفاخرون
بالنهب والغارة وعندهم خافٍ ان الفرق بين السرقة
والنهب هو الفرق بين القوة والضعف والمسكرات التي
هي نتائج الترف والترفه قليلة الوجود فيهم لتمكن اخلاق
البداوة منهم ولا يخلو عليهم من خلة الطمع لتسلط الفقر
عليهم وان نساء الافغانيين الساكنات في المدن يسترن
وجوههن خلاف نساء القرى والبوادي فانهن مكشوفات
الوجوه ويختلطن مع الرجال وتأخذ كل منهن بيد
رجل ويرقصن في الافراح على هيئة دائرة وتارة يرقص
الرجال منفردين على هذه الهيئة في الاعياد والافراح
ويسمى هذا الرقص لديهم (عتن) ومن عادة سكان
القرى والبوادي من الافغانيين في افراحهم ان يدعوا
والد العروس اقاربه واحبابه وجيرانه في نهار الزفاف
ويعرض عليهم الثياب التي عليه عادة ان يعدها للعروس
وزوجها يستدعي الزوج في هذا المحل ويلبسه على
ملأ الحاضرين [illegible] بعد قراءة الفاتحة وكذلك
[illegible] بالعروس [illegible]
[illegible]
[illegible] البنات [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] والعروس بعد ذلك ترد [illegible]

وتختص قبيلة (مكل) و (داوور) دون القبائل
بكون ابوي العروسين يجب الرقص عليهما في العرس
ولهاتين القبيلتين عادة غريبة وهي ان شأنهم في ايام
المواسم والاعياد يحلقون احد حاجبيهم واحد جانبي
شاربهم من خلاف ويكحلون عيناً بالسواد وعيناً بالحمرة
ومن له لحية منهم يحلق جانباً منها ويترك الاخر ويقضون
ايام عادتهم هذه باللعب بالسيوف حتى يخيل للناظر
انهم يحاولون الفتك بعضهم واماء هاتين القبيلتين
ممن يستفزهم حسن الصورة ويستغفلهم الجمال انما تحلى
بل هم يتنافسون في اظهار صدق المحبة وخلوصها بتقديم
الذبائح حتى تعالى بعضهم بتقديم ابيه ذبيحة . . . . ومن
عادة قبيلة (ختك) ان نساءها في المأتم يصبغن وجوههن
ويعفرنها ويثبن لاطمات صائحات ويخمشن وجوههن
باظفارهن . . . . ومن عادة جميع الافغانيين اطعام
المعزين ثلاثة ايام الا انهم يختلفون عادة في من يقوم
بمصاريف الاطعمة ففي غالب القبائل يقوم صاحب
المأتم وفي بعضها يقوم بها جيرانه واهالي القرى القريبة
منه اما هو فلا يصنع شيئاً . . . ومن اهالي القرى من
يعلم الاولاد الذكور الرقص ويلبسهم ثياباً تشبه ثياب
نساء الافراح ويجعل عليها سراريب من جميع اطرافها
لاجل الرقص في الافراح واذا ولد لاهل القرى والبوادي
[illegible]
[illegible] وتنادي باعلى الصوت [illegible]
[illegible]
[illegible] ينسبون مذهب ابي حنيفة
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] من محرم وبصريون طوائف
[illegible] مكشوفة . . وتوجد في بعض

قبائل (كاكر) بقايا من الطريقة (المزدكية) وإن كانوا على دين الاسلام ...

ومزدك هذا كان رجلا في زمن (قباذ) من اكاسرة فارس وقد ادعى النبوة وتبعه (قباذ) واربعون الفاً من الفارسيين وكان من اصول دينه الاشتراك في الاموال والنساء وكان يعلل ذلك بان المنازعات والمقاتلات لا تحصل الاّ لاجلها فلو حصل الاشتراك فيها لارتفع الشقاق واستتبت الراحة ولما مات (قباذ) وجلس ابنه (انوشروان) المعروف بالعادل على منصة الملك احتال لابادة هذه الشريعة المبتدعة فطلب الشارع وقابله بالبشر والبشاشة واظهر له رضاه وقال له اني قد اخترت هذه الشريعة البديعة واستحسنتها ولكن لا اقدر ان اتظاهر بها خوفاً ووجلاً ما لم ارَ الذين اتبعوك ولم اعلم ان فيهم كفاءة لدفع شر المنكرين فعرض الشارع اتباعه عليه في محل اعده (انوشروان) لذلك فصار الجميع طعمة للسيوف وما هرب منهم الاّ ثلاثة اشخاص منهم زوجة (مزدك) ولم يصدر عنه هذا الفعل الاّ بمشورة وزيره (ابوزرجمهر) حيث قال له ان هذا الشارع لا يريد بشريعته هذه الاّ استئصال السلطة عن وجه الارض لان السلطنة لا تكون الاّ بالمال والنسب فاذا تأسس الاشتراك في الاموال والنساء فلا سلطنة وقال خواجه (نظام الملك) في تاريخه ان الاباحيين الموجودين في ايران من اتباع (مزدك) وقد توارثوا هذه الطريقة عن الذين نجوا من حد سيف (انوشروان) ... وكذلك يرى في اهالي (خست) و(كرم) بعض عادات الخوارج والنواصب فانهم يصورون هيكلاً في غرة محرم ويدعونه ثم انهم يخرجونه في يوم عاشورا ويكسرون عنقه متهللين مستبشرين وهؤلاء يستقبحون الختان ايضاً

وان الافغانيين مع شدة تعصبهم للدين والمذهب والجنس لا يعارضون غيرهم في حقوقهم ولا يتحاشون عن ان يروا شيعياً او غير مسلم يتم مراسم دينه ولا يمنعون المستحقين منهما من نيل المراتب العالية في حكومتهم فانك ترى غالب ارباب المناصب في البلاد الافغانية من الشيعيين (القزلباش) ... وكل افغاني يزعم انه اشرف الناس لكونه افغانياً ولو كان فقيراً وانه لا يوجد الايمان الكامل والاسلام الخالص الاّ في الافغانيين والعرب وكل قبيلة اذا ارادت ان تهيج الحرب فلا بد ان تجتمع امراؤها للمشورة وتسمى هذه الجمعية عندهم بـ(جركه) .. واذا قتل احد من قبيلة احداً من قبيلة اخرى فكل فرد من افراد قبيلة المقتول يرى انه من الواجب عليه ان يجتهد لاخذ الثار بقتل رجل من قبيلة القاتل ولا يقتنعون بقصاص الحاكم ولا يتجاوزون عن ذلك ولو مضت عليه اعوام الاّ ان يستجير بهم القاتل وهكذا تكون الحال اذا قتل احد من عائلة احداً من اخرى

وان الافغانيين يحمون الدخيل ويعينون الملتجئ اليهم بدمائهم واموالهم . وان اهل الحضارة والبداوة منهم يتسلحون غالباً بسيوف صغيرة تسمى بـ(سيلاوه) و(توره) وبخناجر مستقيمة وبالآت نارية كالبنادق والطبنجات وغالب بنادق اهل الجبال بالفتيل ولا تنقطع المحاربات بين القبائل والعائلات وقد وقع كثيراً ان الابن قتل اباه والاخ قتل اخاه ولا يعقد الصلح بين القبيلتين المتحاربتين الاّ بالمصاهرة .. وان غالب سكان الجبال والاودية لا ينقادون للامير الاّ بقوة جبرية وينتهزون الفرصة دائماً لوضع التحميلات الديوانية عن عواتقهم ...

ومن القبائل من يقتات بالذرة ومنهم من يقتات بالدخن ومنهم من يقتات بالشعير ومنهم من يقتات بالبر وغالب ادامهم الاقط واللحم في زمن الشتاء يصنعون منها طبيخاً ويخبزون اخبازهم غالباً بالساج وفي الاسفار يخبزونها بحصاً محماة يضعونها في قطعة من الخمير ويحصون النار بها الى ان تستوي ويسمون هذا الخبز (كاك) .. وقلما يوجد البصل في بعض القبائل كقبيلة (يوسف زائي)

(قبيلة زائي) فتجدهم اذا رأوا اجنبيا يتملقون ويتذللون له قائلين ان عندنا مريضا فنرجوك ان تتفضل عليه ببصلة عسى ان يكون شفاؤه فيها وان قبيلة (اجيك زائي) كثيرا ما يتعرضون للقوافل ارادة النهب ويسدون طرقها ويطلقونها بالاسلحة النارية والآلات الحادة فاذا لم تمكنهم الغلبة عليها صالحوها بناقة او ناقتين من النصل واتفق ان محمد اعظم خان بعد ما ترك البلاد الهندية وفد على قبيلة يوسف زائي ونزل في خيمة خانها فقام الخان مسرعا يفتش عن حنايا خيمه وبعد زمن رجع وعلى وجهه لوائح الفرح واذا به قدم للامير بصلة

وان كل الافغانيين يعتقدون بقبور الاولياء ويذهبون لزيارتها ويذبحون الذبائح لديها وبعضهم تغالى في اعتقاده بها حتى ان رجلا من قبيلة (الافريدي) المشهورة بالسلب والنهب لقي شخصا فاراد ان يسلبه فاستجار بالله وبالرسول فلم يتركه ثم استجار بتربة شيخ مسمى بـ (بهلابار محمد) فاضطرب ذلك الرجل خوفا وقال جل جلاله اوقعتني في الكفر وترك سبيله .. وان غالب القبائل وسكان الاودية والقرى يميلون الى اللعب والطرب وفي الازمنة الخالية عن الشغل يجتمعون على هيئة دائرة ويرقصون الرقص المسمى ساقا ويلعبون بالخيل والسيوف

وان ساكني الجبال الباردة منهم (كحست) و(كرم) اغلبهم ابيض اللون والساكنون في البلاد الحارة (كقندهار) و(جلال اباد) سمر الالوان

ومن العوائد الدينية الجارية عندهم انه اذا مات احد منهم يخرجون دراهم ودنانير من ماله يعطونها للفقراء والمساكين من العلماء باسم اسقاط الصلاة ... ومن اهل القرى والمدن من له شغف عظيم بتعلم العلوم كالصرف والنحو والمعاني والبيان والفقه والاصول والتفسير والحديث والمنطق والفلسفة والهيئة والهندسة والحساب ويتعلم بعض منهم العلوم الطبية وبعض من اهل القرى يكتفون بتعلم الفقه بدون استحصال العلوم العربية وان العامة يتكفلون بارزاق الطلبة مدة الطلب بطيب نفس فيخصص كل واحد قسما لطلبة العلم مما هيأه لغداء او عشاء ثم يطوف بعض صغار الطلبة على الدور لجمع ما اعد لهم واهل بعض الجهات لا يجوزون تناول ما خصص للطالبين اذا غفل الموكل بالجمع عن اخذه وللعلماء في تلك البلاد شأن عظيم وسلطة روحانية تامة ونفوذ كلمة بين الاهالي بحيث يحتشمهم الكبراء والعظماء والامراء لما ان قلوب العوام في قبضتهم فلهم ان يثيروا الشعب على اي امير او كبير متى شاؤا والكثير منهم يستنكف عن ملاقاة الامراء ويتنزه عن قبول هداياهم وان كان يقبل هدايا غيرهم من الناس ويستكبر عن زيارة رجال الحكومة حتى ان امير البلد لو زار احدهم لا يرى من نفسه ان يتنازل لمقابلة زيارته بزيارة مثلها وبسبب سلطتهم هذه قد يصدر عنهم اعمال مضرة يأباها الشرع والعقل اذ يحكمون بكفر بعض الاشخاص او بفسقه اذا رأوا منه ما يخالف اهواءهم بل قد يكفر بعضهم بعضا حبا للانفراد بالرئاسة خصوصا في هذه الازمان الاخيرة بعد ما انتشر مذهب الوهابية في الهند فان من كان اشد سلطة اذا رأى نجاحا لمن هو دونه يحكم بانه وهابي حتى يسيء اسمه ويلزمون الحكام باجراء العقوبات الفظيعة على من حكموا عليه ومن ذلك ما وقع في قندهار وهو ان احد كبار العلماء حكم بكفر الشيعة فثارت عليهم قلوب الاهالي وقامت الحرب بينهم وسفك فيها غزير الدماء ونهبت البيوت والدكاكين وكذلك ما وقع في كابل وهو ان بعض علمائها حكم بكفر الشيعة ووقعت بسببه حرب امتدت اشهرا بين السنيين والشيعة (القزل باش) وان بعضا منهم يتسم بسمة الطريقة ويتوسد وسادة الارشاد وهؤلاء يتخذون مساكن ورباطات للزائرين وغيرهم ويقدمون لهم الاطعمة في اوقاتها وجاههم ونفوذ كلمتهم وسعة نفقاتهم بحسب ما ياخذونه من الدين يلوذون بهم باسم الهدايا والنذور ومنهم من يتمكن بحسن سلوكه وظاهر صلاحه من قلوب العامة ويحصل له

الكلمة العليا والصوت التام ويقصده الوف من الناس من كل فج فيقدم لهم الموائد مدة اقامتهم لديه ولا يخلو رباطه جميع الاوقات من مئين من المريدين وهو المتكفل لهم بما يلزمهم من الاطعمة والاشربة والالبسة ومنهم من يتفرد بالحكم في بعض اضلاع البلاد الافغانية ويتمتع بصلحه ويحامي عن حوزته ويدفع من يهاجمه من جيرانه ولهم في بعض الاوقات عليهم محتجًا في كل ذلك بالادلة الدينية ومن هؤلاء عبد الغفور المشهور (باخند صوات) الذي كان متسلطًا على (صوات) و (بنير) وكان معتقدًا في جميع البلاد الافغانية على العموم بل وفي بلاد الهند وبخاري وكان فقيهًا زاهدًا متقشفًا مخشوشنًا في معيشته يعيش من الذرة والدخن المجلوبين والبان معز لا ترعى الا اعشابًا جبلية وكان عنده على الدوام عدد وافر من المريدين وكثيرًا ما شن الغارة على الانكليز وانتصر عليهم وكان ينشر في البلاد منشورات يدعو بها اهلها الى الجهاد فيجتمع اليه الوف من الناس وكان يؤيده ويساعده على هذا جماعة الوهابية من المسود اصحاب (السيد احمد) الوهابي الذين هاجروا من الاقطار الهندية خوفًا من المسلمين السنيين وتوطنوا في (صوات) و (بنير) وهذا الشيخ (اخند صوات) كان اذا وفد اليه الزائرون وابناء السبيل يقربهم على حسب احوالهم وما منحهم الله في بلادهم من جاه وثروة او ضعة وفقر وكان يقدم الى الامير ما يليق به والى الفقير اللبن الرائب والعسل والخبز اليابس وكان اذا سمع ان شيخًا قد ارتفع صيته في البلاد او جلس مجلس الارشاد بادر بالحكم عليه بالتوهب حتى تنفر عنه القلوب وتنزل درجته من اعتبار العامة وقد قتل بعض المشايخ بسبب حكمه هذا واشتهر بعضهم على اشنع هيئة واقبح صورة ...... وجميع علماء الافغان يحرمون شرب التبغ بجميع انواعه كعلماء بخاري لكنهم لا يتعرضون لمنع العامة عنه الا (اخند صوات) فانه كان يرسل من لدنه الرسل والمحتسبين في البلاد الافغانية ليمنعوا الناس من شرب الدخان ويكسروا الغلايين والشياش اذا ظفروا بها ... ويحرمون اكل ذبيحة الشيعيين مع انهم يحللون اكل ذبائح اليهود والنصارى زاعمين ان الشيعة قد ارتدوا والمرتد لا تؤكل ذبيحته بخلاف اهل الكتاب وجميعهم يحملون على عاتقه حرامًا غليظًا او رقيقًا على حسب الفصول لاجل الصلاة بل ذلك عادة غالب الافغانيين وجميعهم يظهرون التعصب للدين ويبدون الغيرة على الاحكام الشرعية والاعتقادات الا من كان منهم على منصة الارشاد فانه قد يوجد فيهم التساهل في الامور الدينية ... ولكن لطلبة العلم لما يرون من احترام العامة لهم بعض تجرء على الناس حتى ان طلاب (ننكنهار) يتحزبون ويتسلحون بالقرابينات ويهجمون على اهل القرى اذا رأوا ادنى اهانة منهم لاحدهم ولا ينتهون عن التطاول الا ان يقدم الاهالي كفارة عما فرطوا في جنبهم وكثير من طلاب تلك النواحي لا يبالون بالصلوات والصوم ولهم احتفالات في بعض ايام السنة يدعون اليها من الطلبة وغيرهم ما يزيد عن الف شخص ويلزمون اهل القرى بتهيئة مأدبة فاخرة ثم يأتون بأمرد جميل ويلبسونه رقعًا واساور ويجلسونه على كرسي ويلقبونه بالسلطان ويكون له الحكم مدة هذا الاحتفال يأمر بضرب من يشاء ويغرم من يشاء وحين ما يريدون الانفضاض يجيء المسمى بالوزير منهم بين يدي المجعول سلطانًا ويقول له ان الجند قد تمردوا على السلطان نظرًا لانقطاع الراتب عنهم فيسفر ذلك الأمرد عن وجهه ويضع جانبًا من البشوق في راحته ويبسطها فيتوارد اهل الاحتفال عليه وكل يتناول شيئًا من هذا البشوق وبهذا ينفض الملعب .... وان اللغة الافغانية في غاية الخشونة وحروفها الهجائية اكثر عددًا من حروف اللغة الفارسية واحسن من يتكلم بها اهل مدينة قندهار .... ويوجد

[illegible] قليلة بهذه اللغة نطقاً ونثراً

ومن الشعوب الموجودة في البلاد الافغانية شعب [illegible] (تاجيك) ومنه غالب سكان مدينة هرات [illegible] وشمالية كابل والقرى الواقعة بينها وبين بلخ [illegible] مدينة قرنه وبعض القرى المجاورة لها [illegible] وقصبة لقمان وبعض قرى قندهار ومنه ايضاً [illegible] سكان المدن البلخيه . . . وهذا الشعب ذو جدٍّ واجتهاد وله حرص على تعاطي الحرف والصنائع كالحياكة والتجارة والحدادة والبناء وغيرها وعلى معرفة من الزراعة وتربية الاشجار والكروم وله عناية ما بالتجارة . . . وان الساكنين منه في (قوهستان كابل) قد طبعوا على الشر والفساد وحب القتال وسفك الدماء فترى الحرب قائمة في ما بينهم ابداً لا تخلو منها قرية مع اخرى ولا بيت مع اخر ومن ثم تجد رجالهم غالباً قد اتخذوا لهم بروجاً يقيمون بها باسلحتهم خوفاً من الغارات

وبالجملة ان هذا الشعب احسن حالاً من الافغانيين فانه ادرى منهم بالادارة المنزلية وانظف في زيه وملبسه ويمتاز عنهم بمراعاة النظافة بل يفوقهم درايةً وادراكاً وفهماً وذكاء غير انه قل ما يوجد فيه عالم او من يميل الى تحصيل العلوم على خلاف الافغانيين وما اشتهر به سكان القرى من هذا الشعب اصابة المرمى فهيهات ان تخطيء رصاصة احدهم الغرض ولهم صنف من طوال الخناجر يتقلدونها وجل هذا الشعب سني على مذهب ابي حنيفة ولا يوجد في هذا الشعب عصبية كما لا يوجد فيه امراء وغالبهم بيض الوجوه ويعتمون بعمامة الافغانيين نوعاً

ومن الشعوب ايضاً شعب (هزاره) ويسكن هذا الشعب في الجبال الواقعة في شمال (قرنه) الممتدة الى شمال هرات واصله من الجنس المغولي كما يؤخذ من سيماهم فان بعيونهم ضيقاً مع ميل لحاظها نحو الرأس ولحاهم غالباً ليست الاّ بعض شعرات نابتة في اذقانهم وبالجملة فان تركيب وجوههم يشبه تركيب وجوه الصينيين والتتار الاصليين وقد قال بعض المؤرخين ان هذه القبيلة من بقايا عسكر (جنكيز خان) بل ادعى انها كانت منذ ثلاث مائة سنة تتكلم باللغة المغولية لكنْ من وقف على تمكنها من اللغة الفارسية وعدمِ مزجها اياها بشيءٍ من اللغة المغولية مع مجاورتها للتركمان وجنس الازبك من الترك يجزم بانها استوطنت مواطنها هذه من قبل (جنكيز خان) بمدد مديدة وهذه القبيلة لم تزل على الخشونة والتوحش عريقة في البداوة الى الغاية على انها تحسن صنع صنف من الجوخ يقال له (برك) وهو اجود اصنافه وقلَّ ما يصنع نظيره في اوروبا وجميعها ما عدا عمارة (جمشيدي) يلبسون قباء مشقوقاً من منثني ظهره ويتمنطقون عليه لكن ان كان القباء من برك فيجعلون اكمامه الى المرافق ومنها الى الزند بخرقة من اقمشة اخرى كالحرير وغيره وفي فصل الشتاء يتخذون قلنسوة من القماش واما نساؤهم فيعتممن دائماً ويلبسن كالرجال قباء على الشكل المارّ ذكره واما (الجمشيدية) فلباسهم يشبه لباس مجاوريهم من التركمان و(الايمق) (صنف من البرك) وهو جبة تضرب الى الكعبين ضيقة الاكمام قصيرتها وقلنسوة من الفراء تسمى (باباق) باللغة الفارسية وهذه العمارة معروفة بالفروسية ومطبوعة على النهب والسلب وشن الغارة كجيرانها ومشهورة بالشجاعة والاقدام واصابة الغرض في المرامي كسائر اخوانها من قبيلة هزارة . . . . وهذه القبيلة على مذهب الشيعة الاّ فصيلة (شيخ علي) و(الجمشيدي) لكنها ليست على شيء من هذا المذهب الاّ بغض الخلفاء ومحبة علي واقامة مأتم علي في عاشورا بضرب السلاسل على الصدور والظهور ولا ينبغي لآحاد هذه القبيلة اظهار مذهبهم مع ان التقية من واجبات مذهب الشيعة حتى لو سئل احدهم عن مذهبه لقال بغلوٍّ بدون مبالاة اني عبد علي ولهم زيادة اعتصام بمذهبهم هذا . . . وما يحسن سرده هنا

انهم يجيلة بمرض الصنف على جارية منهم كاسف سيده قليستيب ففترها وزجرها وناح عليها فاستشاطت غيظا وقالت اهون علي ان اكون كلبة ولا اكون سنية ومن شأنهم انهم يلقنون امواتهم اثر دفنهم بكلمات معناها اذا جاءك نكير ومنكر فلا تخف فان مولاك عليا سيحضر عندك ويطردها عنك ومن عاداتهم ان اهل الميت يشق كل منهم قلنسوته بعد دفنه ويتركها على قبره وقلما يوجد عند هذه القبيلة نقود وغالب معاملاتهم بالمقايضة وتأخذ منهم الحكومة بدل النقود على حسب حال كل شخص عددا مخصوصا من صنف المعز فلئن تأخر احدهم في اداء الضرائب حتى تراكمت عليه وعجز عن ادائها يقدم بنته بدلاً فيتخذها العامل او الحاكم كجارية وغالبهم يستعمل اطعمتهم بلا ملح لعدم وجوده . . . ويعظمون الشرفاء (اي اولاد علي ابن ابي طالب رضي الله عنه) غاية التعظيم ويتميز الشريف عندهم من غيره بالانفة والعظمة وعدم التحية عند قدومه على مجلس من المجالس واستعمال الشتائم في مخاطبته للعامة ويعللون هذا بان الشرفاء سلاطين فلا ينبغي لهم ان يعاملوا الناس الا بهذه الطريقة

ومن العادات الغريبة عندهم انه اذا حصلت منازعة بين امرأتين تتيم كل منهما نائبة عنها من النسوة المشهورات بالتفنن في الشتائم فتقوم كل من النائبتين امام الاخرى فتبتدىء احداها بالشتم محركة يديها ورجليها وحاجبيها بحركات مختلفة فتجيبها الاخرى بشتم افظع على ذلك النحو من الحركات وهكذا تتناوبان الشتائم حتى تأتي احداها بشتم يبلغ الغاية في الفظاعة بحيث لا تقدر الاخرى ان تأتي بمثله فتنفصل الدعوى وتكون الدائرة على التي صارت نائبتها عاجزة عن المقابلة فان انقضى النهار وما حصلت الغلبة لاحداها تأتي كل واحدة منهما بنفقة تكفيها قائلة الميعاد غداً

ومن الشعوب قبيلتا اربك وتركمان وهما من اصل تركي يتكلمون الان باللغة التركية وقبيلة اوزبك تسكن في قطعة بلخ طالقانية في الاراضي الافغانية وهم ينقسمون الى (ميمنة) و (طراقي) وكلهم سنيون يتبعون مذهب ابي حنيفة وان الاوزبكيين هم الذين يسمون (المغول حفدة جنكيز خان) يشتغلون غالبا بالحرث وتربية الكروم والاشجار واقتناء المواشي ويضفرون شعورهم ضفيرة صغيرة يسدلون عذبتها على اذانهم ويلبسون جبباً من الحرير وغيره مبطنة بقماش غليظ وشيء من القطن كالحبة صغيرة وبعضهم يلبس ثلاثاً واربعاً من هذه الجبب بعضها فوق بعض ولهم حذق في الفروسية والطعن بالرماح واذا ذهب احد منهم لزيارة الخير يرفع يديه للدعاء ويقرأ سورة الفاتحة وبعد ذلك يقدم له الزوار كسرة خبز فيأخذها ويقبلها بكل احترام ويضعها في جيبه ولهم رغبة تامة في شرب الشاي ولا يستنكفون عن اكل لحم الفرس ويوجد فيهم بعض من العلماء

واما التركمان فيلبسون جبباً من (الوبرك) ويضعون على رؤوسهم قلنسوة من الفراء تسمى (باباق) بالمياه الفارسية كما ذكرنا ولهم اهتمام تام بتربية الخيول وخيولهم متولدة من الخيول العربية التي جلبها (نادر شاه) من (نجد) وغالب هذه القبيلة المتوحشة المتبربرة يتعيشون من السلب والنهب ويغيرون على بلاد ايران واطراف هراة يأسرون الرجال والنساء ويبيعونهم باسم العبيد والاماء مستدلين بان اسراءهم من الشيعيين يجوز بيعهم لخروجهم عن الديانة الاسلامية وكثيراً ما يأسرون اشخاصاً من السنيين ويجبرونهم بالضرب والكي على ان يعترفوا امام الناس بالتشيع كي لا يمتنع اتقياء (بخارى) عن شرائهم واتفق ان بعضاً منهم اسر عالماً من علماء اهل السنة من نواحي هراة فكبله بالسلاسل خوف الهرب ومع ذلك كان اذا حضر وقت الصلاة اطلقه ليأم بالجماعة وكان بعد تمام الصلاة يقيده ثانيا ولما رأى العالم منه ذلك قال له انت تعلم اني رجل سني

ولا يجوز اخذه بحقه جهلاً بان قطعها بأنها لمست بعض المصحف القرآن الكريم فلا يجوز لي هبة للقرآن كذلك يجوز لي ايضاً بيعها طلباً البيع نحاشا. وبالجملة ان هاتين الطائفتين مشهورتان بالظلم والشرّ خصوصاً الاخيرة غير [illegible] في البلاد الافغانية .

ومن الطوائف الموجودة في البلاد الافغانية طائفة الخلفاء (اولاد علي ابن ابي طالب رضي الله عنه) يلقبون في تلك البلاد بالسيد وبعض من هذه الطائفة يسكن في (جمنك) من نواحي قندهار وبعض منها يسكن في ولاية (كنر) الواقعة قرب (جلال اباد) ولهم محل شريف (كنر) من الكبراء والعظماء من عهد (بابر شاه) الى يومنا هذا وللافغانيين عموماً مزيد اعتقاد بهذه الطائفة .... واما عاداتهم واخلاقهم وملابسهم فتماثل عادات الافغانيين واخلاقهم وملابسهم

ومن سكنة بلاد الافغان ايضاً طائفة قزل باش (وهو لفظ تركي ومعناه احمر الرأس وقد لقب بهذا اللقب جميع العساكر الصفوية الشيعيين لانهم كانوا يعتمون بأمر السلاطين الصفوية بعمائم حمراء) وجلها يسكن في كابل والباقي منها يستوطن في غزنه وقندهار واصل هذه الطائفة من البلاد الايرانية وقد اتى بهم (نادر شاه) الى هذه البلاد ولهم حذق في الاداب والصنائع والاعمال الديوانية ومن اجل هذا ترى ان المتوظفين في الادارة الملكية الافغانية منهم وغالب الامراء يختارونهم لتربية اولادهم ولتعليمهم الادب والشعر ويمتازون بالذكاء والفطنة واللطافة عن بقية سكنة البلاد الافغانية ويتصفون بالشجاعة والاقدام وكلهم على مذهب الشيعة يقيمون مأتم الحسين بن علي بن ابي طالب في العشر الاول من شهر محرم

ويوجد في جنوب قندهار قرب (بشنك) بعض من طائفة (البلوج) وهذه الطائفة من اصل فارسي ومن عاداتهم انهم يرسلون شعورهم ويدهنونها ويحتذون بالنعال ويضعون فوق رؤوسهم حبائل على عواتقهم وهم موصوفون بالقسوة ومشهورون بالسرقة والغارة ومعروفون بالكرم ولا يعرفون من الاسلام الا اسم الله تعالى واسم محمد صلى الله عليه وسلم وبعضهم يعرفون اسم علي رضي الله عنه ايضاً واذا قيل لاحد منهم يا ايها البلوجي هل تصوم يجيب باني ما سرقت معزى النبي (صلعم) بل ان خاننا (اي اميرنا) قد سرقها فمنعه النبي (صلعم) من الاكل ثلاثين يوماً زجراً وهكذا اذا سئل عن الصلاة يقول ان الخان هو الذي يصلي واذا لقي احد منهم احداً سواء كان منهم او اجنبياً عنهم يبتدره بالسؤال عن الخان ثم يجيبه بتحيات مطالية تستغرق زماناً ويختمها بقوله انظر الى طاقتي وسل ما في وسعي تنله وبالجملة فهذه الطائفة في غاية الجهل والتوحش والتبربر وغلظة القلب حتى ان فصيلة منها تسمى بـ (مري) تغير على القوافل وتأبى الا قتل رجالها زعماً منها انها لا تحل الاموال ما دام اربابها في قيد الحياة .

ويوجد في البلاد الافغانية كثير من عباد الاوثان الهنديين ولهم بها معابد تسمى (درمسال) ولهم خارج مدينة كابل محرقة يحرقون فيها جثث اموائهم على مقتضى ديانتهم وغالباً يحفظون رمادها ويرسلونه الى نهر (الفنج) وجلهم على مذهب (باباناك) الذي اشرنا اليه سابقاً ويشتغلون غالباً بالتجارة والصيرفة ويجتنبون غاية الاجتناب مسّ الغير المتدين بدينهم بالرطوبة ويتحاشون عن تعاطي طعامه وشرابه

واما كيفية حكومة الافغانيين .... فالحكومة الافغانية حكومة استبدادية مطلقة ولكنّ لها نوع مشابهة بالحكومة الشورويّة لانها لا يمكن ابرام امر مهم فيها الا بمشاورة رؤساء القبائل وهي مؤلفة من امير وهو سلطان البلاد ووزير وهو بمنزلة الصدر الاعظم و (مستوفي الممالك) وهذا بمثابة ناظر المالية والداخلية معاً في سائر الحكومات و (خاريدار) وهو الذي يناط به حفظ النقود الميرية

و (يغيك اغاسي باشي) وهو الذي ترفع اليه عرائض المشتكين ويفصل الدعاوي بين المتخاصمين بامر الامير وولاة وغالب هؤلاء الولاة من العائلة الاميرية ويلقبون (بالسردار) و (جنرالاسد) وهم رؤساء العساكر وبعض هؤلاء من السرداريين و (كتوالين) وهم الشحنه اي ضباط البلد .. ويوجد في كل بلد مستوفي نائب عن مستوفي المالك وهو لضريبة الضرائب وجمع الاموال الاميرية ومأمورين وجباة .

وان امير الافغان ليس له ابهة ملوك الشرقيين وجلالتهم بل يجلس في ديوان الحكومة المسمى عندهم (دربار) على النمارق الفارسية مع اعيان الحكومة ولا يمتاز عنهم الا بمتكاء يوضع جنبه ولا يمنع الحاجب والبواب احداً من الدخول عليه حتى اداني الناس ولكل احد من اهل البلدان ان يرفع شكواه اليه مكلماً اياه مشافهةً رافعاً صوته بدون تخجل ولا مبالاة وهكذا سائر الولاة مع الرعية في الولايات مع انه يقف امام الامير كثير من الخدم متسلحين بالسيوف والخناجر مهيئين لاجراء الاوامر والنواهي ويركب في محفة تحملها اعناق الرجال تارةً وفي هودج محمول على الافيال اخرى ... ويجلس مع الامير في ديوان الحكومة (خان ملاّ) وهو قاضي القضاة لفصل الدعاوي الشرعية ويجلس ايضاً مع كل والٍ قاضٍ ولا يجوز للامير ولا لاحد من الولاة ان يتداخل في الامور الشرعية ... ولا يوجد للحكومة الافغانية قانون سياسي وانما الحل والعقد وفصلُ القضايا وتعيين الجزاء وتحديد العقاب وضرب الجريمة (اي الجزاء النقدي) والحبس والضرب والطرد موكولة برأي الامير وسائر الولاة يعملون على حسب ما يتراءى لهم (ولا شك ان هذه الطريقة لا تخلو من الغدر والظلم في كثير من الاحيان) غير ان العقاب بالمثلة وقطع اليد والرجل قل ما يقع في تلك البلاد واما القتل سياسة فلا يقدم عليه الامير جهاراً الا اذا اتفقت معه اراء كبراء قبيلة

من [illegible] الامير قتله خوف الفساد [illegible] باثارة الفتنة ثم ان الامير كثيراً ما [illegible] افعالاً شنيعة كالقتل والسمل وغيرهما من [illegible] من يقوم بناصرهم ويأخذ بثارهم . . . وكثيراً ما [illegible] الامير اموال الوزراء اذا غضب عليهم او احس منهم بسوء وهكذا يفعل الولاة من العائلة الاميرية مع المستخدمين في الولايات للسبب بعينه ولا ينجو ارباب الغنا من التجار والزرّاع من هذه البلية . . . و[illegible] يتصرف في الخزينة الاميرية كتصرفه في مطلق ماله كيفما يشاء وليس لاحد حق المنع والردع بل لا يخطر ببال شخص ما ان الاموال الاميرية ليست من متملكات شخص الامير وانه لا يجوز لامير ما ان يتصرف فيها الاّ بالمقدار الذي يجوّزه القانون وترضى به الامة

ولعدم معرفة الحكومة الافغانية بواجباتها وعدم وجود قانون يجبرها على موجبات الاصلاح تراها غير مهتمة بتأمين السبل واصلاح الطرق ومنع قطاع الطريق وحفظ القوافل ووقاية السابلة حتى ان القافلة اذا ارادت ان تذهب من بلد الى آخر لا يمكنها ما لم تكن مؤلفة من مئين متسلحين بالسيوف والبنادق كأنهم جيوش حربية مستعدون للطعن والنزال لا للبيع والشراء ولاجل هذا قلّت التجارة في تلك البلاد وصار سوقها كاسداً . . . ويوجد في بعض البلاد الافغانية محتسب لدفع الموبقات . . وان الحكومة الافغانية تشبه ان تكون حكومة عسكرية لان جميع ارباب المناصب الملكية والعلمية وكل المستخدمين الميرية من الوزير الى الكاتب المسمى عندهم (ميرزا) ومن قاضي القضاة الى ادنى نائبة تقيد اسماؤهم في الدفاتر العسكرية وتكون مرتباتهم الشهرية على حسب ما يوجبون عليهم احضاره في المحاربة من الفرسان للمقاتلة والمناضلة مثلاً يقرر لقاضي القضاة مرتب مائة خيال فيجب عليه ان يحضر في جميع المحاربات مصحوباً بما فرض عليه من الفرسان متسلحين يقوم بأودهم